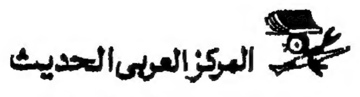
عظماء من العالم

غاندى

يوسف سعد يوسف

موجه أول بوزارة التربية والتعليم



١٣ ش الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة
تليفون ٢٦٦٤١١ ١١٦١٩١ القاهرة

غـــانـدي

مقدمة

يوم ٢ أكتوبر ١٨٦٩ ولد نجم صغير في سماء الهند في مدينة صغيرة على شاطيء الهند الغربي ولم يكن أحد يتصور أن بزوغ هذا النجم الذي أخذ يسطع ويتلألأ في سماء الهند كلها في الربع الأول من القرن العشرين ويلقى بأضوائه الباهرة التي جذبت الهنود وراءه في أي مكان تصل إليه أقدامه — لم يكن أحد يعلم فعلاً أو يمكن أن يتصور أن هذا الرجل استطاع أن يفجرّ قوة أدبية جذبت إليه أنظار العالم كله فهذا الرجل المسالم الأعزل الذي لم يستخدم سلاحاً في أي من معاركه استطاع أن يغير وجه التاريخ وكان كفيلا بأن يقف ضد أعظم امبراطورية ذات جبروت في العالم في هذا الوقت بل استطاع أن يقهر الامبراطورية البريطانية ويحصل للهند على استقلالها من خلال مقاومته السلبية .

ليس غاندي زعيماً نما إلى القداسة بل هو قديس تسنم الزعامة وجعل من كفاحه قضية دينية روحية ذات مظهر سياسي وإن كان هو يرى العكس تواضعاً منه .

وليس خافياً علينا أن نعرف أن هذا الرجل الأسطورة الذي عاش على أرض الواقع تسع وسبعون عاماً جاهد خلالها نصف قرن يعتبر بحق أنضج ثمرة من ثمرات الحركة الوطنية الهندية فالذين سبقوه مهدوا له الطريق وحطموا بعض الأحجار وقضوا على كثير من العقبات التي صادفتهم وعندما لعب غاندي دوره على مسرح جنوب أفريقية حيث وقف إلى جانب الهنود الموجودين بها والذين كانوا يمثلون الاضطهاد بأبشع صوره ثم على مسرح الهند حيث لعب دوره بمهارة فائقة في الفترة من ١٩١٥ حتى وافتته منيته على يد هندي من أبناء جلدته ١٩٤٨ هو أقرب الناس إلى قلوب الهند سواء المسلمين أو الهندوس أو غيرهم من الفئات والطبقات التي كانت تشكل دولة في هذا الوقت قوامها أربعمائة مليون هندي في وقت كانت بريطانيا أكبر دولة استعمارية في العالم يبلغ تعدادها

أربعين مليون فقط! وليس هذا فقط بل حدث هذا كله في وقت يؤمن العالم كله بأنه حيث توجد القوة توجد السيطرة فكيف استطاع هذا الروح العظيم (المهاتما) كما أطلق عليها عامة الشعب الهندي أن يزلزل هذه الفكرة من اساسها ويجعل من الروحانيات أساساً لمقاومة الاستعمار!

كانت حياة غاندي تمثل الشعلة التي تحترق لتنير الطريق للغير .

سلام على روحك يا أعظم مناضل شاهده القرن العشرين.

يوسف سعد يوسف

الباب الأول

أسرته - نشأته - زواجه - دراسته

أسرته :

- ينتمى غاندى إلى طائفة يطلق عليها « الفايسيا » وهى طبقاً للنظام الاجتماعي في الهند تعتبر الطبقة « الثالثة » لأن الطبقة الممتازة هى طبقة البراهمة وتليها في المرتبة طبقة « الكشاتريه » (أي طبقة الحكام والجنود) ثم تليها طبقة الفايسيا وتنتهى بالطبقة الدنيا وهى الطبقة العاملة .
- ولا شك أن الأسرة التي انحدر منها غاندي ترجع في عدة أجيال متعاقبة إلى التجارة التي اتخذت منها حرفتها الرئيسية .
- ولهذا ليس غريباً أن نعرف أن كلمة غاندي في لغة الهندوس معناها العطارّ .

● وقد وصل جد غاندي – بعد أن ذابت الفواصل بين الطبقات بعض الشيء – إلى مرتبة رئيس وزراء حيث اختاره « أمير بورناندار » في هذا المنصب على ولاية « كاثياوار » ومن الطريف أن نعرف أن هذا الأمير غضب يوماً ما على « أوتمشند » جد غاندي فطرده ونفاه إلى ولاية أخرى وعندما قابله حاكم هذه الولاية مدّ يده ليصافح أوتمشند فصافحه هذا الرجل بيده اليسرى فلما استفسر منه الأمير عن هذا التصرف الشاذ أجابه أنه في شديد الأسف لأن يده اليمنى لا زالت وقفاً على أمير « بورناندار » وهذا وفاء عجيب في زمن عز فيه الوفاء من رجل طرده ونفاه .

● وتولى بعده ابنه « كرمشند » رئاسة الوزراء خلفاً لأبيه في « بورناندار » وهو والد غاندي وهو رجل فاضل يتميز بعفة اليد لدرجة أنه يمكن التأكيد رغم الفترة الطويلة التي حكمها والده وقدرها ربع قرن – فإنه عندما مات لم يترك لأولاده سوى قليل من الأموال التي لم تكن تكفيهم سوى شهور قليلة .

• ومن الطريف حقاً أن غاندي يعيب على والده أنه تزوج أربع مرات رغم أن زوجاته الثلاث الأولى قد انتقلن إلى الرفيق الأعلى ورغم أن غاندي أنجبه والده من زوجته الرابعة بعد أن كان قد تخطى الأربعين من عمره .

• وكان غاندي لهذا أصغر أخوته فأبوه كان قد أنجب أول ما أنجب « لاكسميداس » الذي عمل بالمحاماة في « راجكوت » ثم أنجب الابن الثاني « كارسانداس » الذي كان مفتشاً بالبوليس في بوزباندار ثم أنجب فتاه هي « راليابتن » وهذه كانت تكبر غاندي بأربعة أعوام .

• ومات الأخوان في حياة غاندي أما أخته فقد عاشت بعد غاندي بضع سنوات .

• وكان غاندي آخر العنقود فأحاطه والداه بشيء كبير من الرعاية وكان غاندي يحب أباه ولكن حبه لأمه ليس له حدود لأن والدته « يوتليباي » سيدة فاضلة متدينة شديدة التقوى لا تأكل لقمة بغير صلاة وتؤدي فريضة الصلاة كل

يوم في المعبد حتى لو كانت مريضة وأثرت في حياة غاندي تأثيراً كبيراً .

نشأته ودراسته :

ولد موهانداس غاندي يوم ٢ أكتوبر ١٨٦٩ .

- التحق بالمدرسة الابتدائية في « بوربandar » ووجد صعوبة كبيرة في مسايرة زملائه في الدراسة فكان متخلفاً في دراسته عن كثير من أقرانه وإن كان يحب المواظبة على مواعيد المدرسة .

- تميز بشدة خجله ولذلك لم تكن له صداقات مع أترابه في المدرسة ولهذا فإنه وجّه كل صداقاته إلى الكتب .

- وكان يحب المشي ويصر على الذهاب إلى المدرسة راجلاً عن أن يصل إليها بسيارة والده رئيس الوزراء الفاخرة .

- خطب له ابوه وأمه فتاة هى ابنة أحد تجار « بوربandar » وهما في سن السابعة كعادة أهل الهند و لم يعلم غاندي بذلك ولا عروسته إلا عندما انتقل إلى المرحلة الثانوية ووصل سنه

إلى الثالثة عشر .

- تزوج من عروسه « كاستورباى » وكلاهما في الثالثة عشر من عمرهما وسمح له والده أن يفارق المدرسة لمدة عام وأن يحاول خلال هذه الفترة الاعتماد على نفسه للصرف على زوجته فكان والده يكلفه بنسخ بعض مذكراته وكتابة ما يكلفه به نظير مبلغ من المال .

- ويقول غاندي في مذكراته عن زوجته التي عاشت منه أثنين وستين عاماً حيث تزوجها ١٨٨٢ وانتهت حياتها ١٩٤٤ : إن حياة وخصال الطفولة كانت لها الغلبة على جميع تصرفاتهما وكانا كثيرا ما يتشاجران ويمتنع كلاهما عن الحديث مع الآخر لبضعة أيام ويرجع السبب في ذلك أنه كان شديد الغيرة عليها فضلا عن ميله لحب السيطرة وإملاء أوامره عليها فكانت تطلب منه أن تخرج إلى الشارع لتلعب مع بعض زميلاتها فيرفض ويكون النتيجة أنها تتمرد عليه! وحاول غاندي أن يعلم « كاستورباى » زوجته القراءة والكتابة ففشل المعلمون المختصون معها في ذلك ولكن

غاندي استطاع أن يعطيها بعض الدروس في تعليمها مباديء القراءة والكتابة وفعلاً نجح حيث لم يوفق معلموها!

● ويقول « أشورا » خادم غاندي في مذكراته التي تمثل أهم مصادر البحث في شخصية غاندي « إنني كنت من أسرة منبوذة ويعتبر الهنود أن ملامستهم نوع من النجاسة وعشت مع أسرة غاندي أخدم في منزلهم بشكل لا مثيل له فكان يقتطع من طعامه - دون أن يعلم أبواه - ويعطينى الأكل حتى أشبع بل وأحيانا كثيرة كان يشاركني الطعام في نفس الطبق الذي أتناول منه الطعام . وأن غاندي عندما تزوج لم يتم بالطبع هذا الزواج عن حب إنما جاء هذا الحب عنيفاً بعد الزواج ونتيجة للعشرة الطويلة واصبحت زوجته تحبه حباً من أعماق قلبها وتنظر إليه نظرة ملؤها الاحترام والتقدير وكان كل منهما ينافس الآخر لتحقيق هدف معين هو اسعاد كل منهما للآخر . وكان غاندي سعيدا في زواجه فقد شاركته زوجته الحياة بحلوها ومرها واعتنقت مبادئه وآمنت برسالته حتى أن حكم عليها بالسجن بتهمة إثارة

الهنود الملونين ضد حكومة البيض في جنوب افريقية . هذا وقد أنجبت له زوجته أربعة أطفال .

- التحق غاندي بمدرسة راجكوت Rajhat الثانوية وهو في سن الثامنة عشر واستمر بها ثلاث سنوات لم يرسب خلالها وحصل على الثانوية العامة ١٨٨٧ وكان أبوه قد مات قبلها بعام واحد .

- اقترح أحد أصدقاء الأسرة أن يسافر غاندي إلى انجلترا ليتعلم القانون ويصبح محامياً لأن الدراسات العليا في الهند لا تؤهل إلا لوظيفة كتبة .

- سعد غاندي بهذه الفكرة التي وافق عليها أخوه الأكبر « لاكسميداس » المحامى ولكن أمه كانت تخشى على وحيدها من أن يجرفه تيار المدنية وأخطار التقاليد الأوربية فينحرف عن إصالته القومية .

- تكفل « لاكسميداس » بكل نفقات تعليم غاندي في إنجلترا .

- اشترطت أمه عليه الامتناع عن إتيان ثلاثة محرمات أولاها تناول اللحوم ويليها احتساء الخمور وختامها الزنا .

- سافر غاندي إلى بومباى ليستقل الباخرة منها يوم ٤ سبتمبر ١٨٨٨ إلى أنجلترا .

- شعر غاندي وهو طالب قانون في انجلترا بوحدة قاتلة لإبتعاده عن أمه وزوجته وابنه الرضيع .

- عاش كإنسان نباتي مما عرضه لسخرية بعض زملائه ومما أضعف صحته لقسوة المناخ الانجليزي .

- وعندما عرفت قدماه طريق أحد مطاعم النباتيين كان سعيدا كل السعادة وأصبح من زبائنه المستديمين .

- كان غاندي شديد العناية بمظهره فاهتم بأن يكون كأي جنتلمان انجليزي في ارتدائه أحدث الملابس الأفرنجية والقبعة وتعلم الرقص والموسيقى .

- ولكن بعد أن استقر ثلاث شهور في لندن وجد أن كل دخله الشهري لا يزيد عن جنيهان فأخذ يعد لنفسه الطعام

وكان يمشي ستة عشر كيلو متر يومياً سيراً على الأقدام حتى يذهب إلى كليته .

- بذل غاندي وهو في لندن جهده حتى يظهر بمظهر الانجليزى ولهذا قلده في زيه واهتم لأول مرة بشعره وكان يقوم بتفصيل أفخر الثياب عند أشهر الخياطين .

- تعلم الكمان وأخذ دروساً في الخطابة ورغم كل ذلك فإنه كان في داخله وفي أعماقه هنديا بعيدا كل البعد عن المجتمع الانجليزي فلم يقدر له أن ينسجم معه .

- ومن طبائع الشرقيين التي كانت متأصلة في شخصيته ولا تزال سمه واضحة يختلف فيها أبناء المشرق عن المغرب إلى اليوم هي مسألة كمية الخبز التي يتناولها الفرد في اليوم فالأوربيون يأكلون شريحتين من الخبز وهذا لا يمكن أن ينفع مع رجل شرقي مثل غاندي اعتاد على أكل رغيف كامل وأحيانا رغيفين في الأكلة الواحدة وليس في اليوم كله فعندما عاش مع اسرة انجليزية كانت ابنتا صاحبة البنسيون تتبرعان له ببعض شرائح الخبز ولكن ذلك لم يكن يكفه أيضا فلم

يشبع وظل كذلك حتى اكتشف مطعماً نباتيا فاكل فيه وشبع!

- أفتى بعض أصدقائه في لندن أن البيض ليس لحماً فيمكنه تناوله وسعد غاندي بهذه الفكرة وبعد تناوله كميات منه على مدى أيام تذكر أن أمه قالت له إن البيض في عداد اللحوم فامتنع عن أكله .

- أصبح غاندي عضواً في الجمعية النباتية في لندن وكتبت له مجموعة من المقالات هدفها إظهار فائدة التغذية النباتية للعقل والروح .

- قضى غاندي سنوات الدراسة في انجلترا بنجاح ولم يكتف بقراءة كتب القانون بل أخذ دروساً في الفرنسية وعبر المانش ١٨٩٠ ليشاهد معرض باريس ورأى برج إيفل وقال أنه ليس فيه فن وإنما فيه غرائب وكان أعظم ما أعجب به كنيسة « نوتردام دى بارى » .

- وكان قد عرف صديقاً مسيحياً في بنسيون نباتي ومن خلاله

قرأ الأنجيل وأعجب بالعهد الجديد وبصفة خاصة موعظة الجبل ثم قرأ عن « بوذا » كما كتبها سير أدوين أرنولد ثم قرأ الفصل الخاص بنبي الإسلام في كتاب كارلايل « الأبطال وعبادة الأبطال » . ولم يكن غاندي إنسانا متعصباً وإن كان متمسكا بدينه لكنه يحب جميع الناس ولا يحب التفرقة إطلاقا ويرى أن المنبوذين في الهند طائفة مظلومة يجب أن تتساوى في حقوقها مع غيرها من الطبقات وهو يحب اليهودي والمسيحي والمسلم كما يحب أي إنسان ينتمي إلى أي دين آخر فقلبه به متسع للجميع .

- وبعد أن أمضى غاندي ثلاثة سنوات في دراسة القانون بلندن تخرج وأصبح محامياً وقيد اسمه في نقابة المحامين بلندن يوم ١٠ يونية ١٨٩١ .

- وفي اليوم الثالث من تخرجه عاد إلى بلده الهند فكانت زوجته قد اخفت عنه نبأ موت أمه وهو في انجلترا حتى لا تؤثر على دراسته لشدة حبه لها .

● وكان غاندي قد قرأ « الجيتا » مترجمة إلى الانجليزية عندما كان في لندن واعترف بأنه في شديد الأسف أنه لم يقرأها قبل سن العشرين وهي عن « الهندوس » تعدل قداسة القرآن عند المسلمين وقداسة الانجيل عند المسيحين وقداسة التوراة عند بني إسرائيل . والجيتا مختصرة من « باحواد جيتا » ومعناها أنشودة الرب أو أنشودة السماوات وكانت هي سراج غاندي الروحي وملاذه في كل يوم ولعل ما استرعى انتباهه فيها « تلق الأذى كما تتلقى السرور وتلق الخسارة كالربح والهزيمة كالنصر فإنك إن فعلت لم تتورط في إثم » .

الباب الثاني

غاندي في جنوب افريقية

المحامي – التسوية الودية – تشجيع التعليم – وزير المستعمرات

حرب البوير – منع الهجرة – فتح السجون – غاندي الأب – المزارع – أثر تولستوى

بمجرد عودة غاندي إلى بومباى استولى عليه الحزن عندما علم بوفاة أمه دون أن يراها وأمضى فترة طويلة صائماً متأملاً طالباً العزاء وهداية من الله .

● حاول أن يعمل بالمحاماة في الهند ولكنه لم يكن على معرفة بالقانون الهندي هذا فضلا عن سوء معاملة القضاة لغاندي لأن جميع المحامين كانوا من الانجليز فكان القضاة يعاملون

غاندي بأسلوب شديد الاحراج أمام الحاضرين في قاعة المحكمة مما جعل غاندي لا يقوى حتى على الكلام .

- حاول غاندي أن يترك المحاماة ويلجأ إلى التدريس لكي يستطيع أن يحصّل على نقود يصرف منها على أسرته ولكن المدارس التي عرض عليها نفسه للعمل بها لم تقبله لعدم حصوله على درجة جامعية هندية .
- ثم ما لبث أن عاد إلى راجكوت فعمل محرراً للعرائض مثل الكتبة الذين يجلسون على مكاتب صغيرة أمام المحاكم لكتابة الطلبات لطبقة الناس الذين لا يعرفون الكتابة أو الذين يجهلون صيغة هذه الطلبات وكان يتكسب حوالى ثلثمائة روبية في الشهر .
- فوجيء غاندي بأحد أثرياء الهنود الذين يقيمون في اتحاد جنوب أفريقية يعرض عليه قضية كبيرة وهو أحد سكان مدينة ناتال Natal فوجد غاندي في هذا العرض الجميل فرصته الذهبية وفعلاً توجه إلى اتحاد جنوب أفريقية The

Union of South Africa في مايو ١٨٩٣ وقابل موكله « دادا عبد الله » .

وبعد أن درس غاندي القضية توجه إلى المحكمة بعد بضعة ايام وكان أمله أن يتكسب بعض المال بعد فترة إفلاس طويلة ويستطيع أن يبدأ حياته كمحامى ناجح .

، توجه غاندي إلى المحكمة وهو يلبس « الردنجوت » من أحدث الطرز وينتعل حذاء لامعاً ويضع فوق رأسه عمامة على النظام الهندي ولكنه فوجيء أن القاضي الانجليزي متعجرف فطلب منه أن يخلع هذه العمامة ولكنه رفض وخرج غاضباً من قاعة المحكمة ولكنه فكر بعد في ارتداء القبعة الانجليزية ولكن موكله دادا عبد الله طلب منه في أدب ألا يرتدي هذه القبعة لأنه لا يرتديها إلا الخدم والجرسونات وعمال الفنادق . وكان هذا الأسلوب الذي قوبل به في محكمة ديربان أول مظهر صادفه في جنوب افريقية من مظاهر التفرقة العنصرية فأرسل غاندي المحامي بخطاب يعبر عن احتجاجه على هذه المعاملة ومن الطريف حقاً أن

الصحف المحلية نشرت له الخطاب كما هو دون أن تغير فيه حرفاً وكل ما فعلته أن كتب المحرر تعليقاً سريعاً أن هذا الخطاب من شخص غير مرغوب فيه وكانت هذه التفرقة العنصرية تمثل الدافع الأول لغاندي ليقف ضد المتعصبين .

● أما العامل الثاني فقد كان الدافع اليه ما حدث خلال سفره بالقطار متوجهاً إلى بريتوريا عاصمة الترانسفال عندما حجز لنفسه مكاناً بالدرجة الأولى بالقطار الذي يغادر ديربان في المساء وما أن وصل القطار إلى عاصمة الناتال « مارتزبورج » فدخل راكب ابيض إلى المقصورة التي يجلس بها غاندي فلما شاهد هذا الرجل الأسمر غادر الديوان فوراً وعاد بعد دقائق ومعه اثنين من موظفي القطار حيث طلبا منه الانتقال إلى مقاعد الدرجة الثالثة الخاصة بالملونين فلما أخرج لهما التذكرة التي تثبت أحقيته في الدرجة الأولى أحضرا له شرطياً أخرجه من الدرجة الأولى ومعه حقائبه قوة واقتداراً وكان الوقت عند منتصف الليل والبرد شديد ورغم أن غاندي كانت لديه فرصة للانتقال بشنطه إلى

الدرجة الثالثة إلا أنه فضل أن يغادر هذا القطار . وفي هده اللحظات عادت به الذاكرة إلى الهند وفكر في العودة إليها ولكنه عاد إلى عقله وإلى اسلوبه في التفكير أن هؤلاء الملوبين لا سيما الهنود الذين يقيمون في جنوب أفريقية يقاسون مں الاستعمار البريطاني ومن التفرقة العنصرية وصمم على الوقوف إلى جانب هؤلاء الملونين حتى يحصل لهم على حقوقهم بطريقته الخاصة ولهذا فقد أستأنف سيره إلى بريتوريا من أجل القضية .

- وفي الواقع أن أحد المراسلين الأجانب المسيحين سأله بعد سنوات عن التجربة التي تركت انطباعها في ذهنه وأثرت في حياته تأثيراً كبيراً فكان رده على الفور ليلة سفره بالقطار ونزوله في محطة مارتزبورج .

- في كل يوم أمضاه في اتحاد جنوب أفريقية كانت التفرقة العنصرية تتخذ مظهراً عنيفاً فيزداد كراهيته لها ولكن الغريب في الأمر أن هذه التفرقة خلقت من غاندي الرجل الخجول الذي يتميز بالحياء الكامل حولت هذه التفرقة حياة

غاندي إلى جرأة ضاربة على مقاومة أي لون من الظلم مهما كان قاسياً وعنيفاً وانقلب فعلا إلى وضع حد لما يقابل مواطنيه من مذلة وهوان على أيدي هؤلاء البيض .

● اشتغل غاندي بالمحاماة في جنوب أفريقية وكانت أخطر المشاكل التي تصادفه في المواصلات ففي رحلته من شارلستون إلى جوهانسبرج التي تتم عن طريق العربات التابعة لإحدى الشركات وهذه العربات من النوع الذي تجره الخيول ومعروف أن فوق ظهر العربة مقعد لفردين القائد والسائق وفي هذه المرة شاء حظ غاندي العاثر أن القائد جلس داخل العربة وطلب من غاندي الرجل الملون أن يجلس بجوار السائق رغم وجود مكان له داخل العربة فامتثل غاندي لحاجته إلى الوصول إلى جوهانسبرج في موعد محدد وجلس بجوار السائق وبعد نصف ساعة خرج القائد من داخل العربة وصمم على أن يجلس مكان غاندي بجوار السائق وطلب من غاندي أن يجلس على قطعة خيش تحت أرجل السائق فما كان من غاندي إلا أن سأله أنا أحمل

تذكرة فلماذا لا أجلس داخل العربة ؟ فاستشاط القائد غضباً وحاول أن يقذف به من العربة وهي على آخر سرعة وتعلق غاندي بعارضة نحاسية في العربة وظل القائد يضربه ولم ينقذه إلا صياح الركاب البيض داخل العربة وقالوا للقائد لماذا لا يجلس داخل العربة وله الحق كل الحق في ذلك وعندئذ تركه يجلس داخل العربة بعدما وافق على رأي الركاب .

- وفي اليوم التالي كتب غاندي شكوى مطولة بكل ما حدث إلى شركة هذه العربات وجاءه الرد كتابة إنه سوف لا يعامل بمثل هذه المعامله بعد ذلك!

- دعا غاندي الهنود المقيمين في بريتوريا إلى اجتماع للوقوف على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم ومحاولة ايجاد الحلول المناسبة لها ورحبوا باقتراحه الذي ينص على إنشاء حلقة للإتصال بينهم وبين السلطات المختصة .

- شجع غاندي الإقبال على التعلّم وتطوع هو نفسه لتدريس الانجليزيه في الترانسفال وطلب من المندوب السامى

البريطاني الذي اعتذر عن تقديم أى لون من المساعدة لأن الترانسفال تقع خارج نطاق الامبراطورية البريطانية ثم أنها خاضعة لنفوذ البوير وهم فرع من سلالة المستعمرين الهولنديين الأوائل كما أن دولة أورانج الحرة قد ابعدت الجنود نهائيا عن دخول أراضيها .

- وقد لجأ غاندي إلى إجراء تسوية ودية بين موكله « دادا عبد الله » وبين خصمه وهو أحد تجار الهنود وذلك لتأكده من عدالة القضية لصالح موكله ولما كان المبلغ كبيرا وممكن أن يؤدى إلى إفلاس هذا التاجر وقدره غاندي بأربعين ألف من الجنيهات الاسترلينية استطاع غاندي أن يقنع دادا عبد الله بعدالة تجزئة هذا المبلغ على بضع سنوات وقبل الطرفان ذلك .

- وكانت هذه القضية دافعاً لغاندي المحامي لاعتناقه مبدأ تسوية المنازعات بالوسائل السلمية والابتعاد ما أمكن عن حلبة الصراع أمام المحاكم مما كان يخلق الحقد ويشيع الكراهية بين طرفي النزاع .

• وكانت أول معاركه السياسية عندما طلبت منه جاليته الهندية بجنوب افريقية أن ينتظر بعض الوقت في بريتوريا قبل عودته إلى الهند حيث كان قد اعتزم العودة إليها ليرفع قضية باسمها لوقف التشريع الذي صممت حكومة بريتوريا على سّنه لمنع الهنود من حق التصويت تمهيدا للتخلص منهم أسوة بما فعلته حكومة أورانج الحرة .

• ثم ما لبث غاندي أن أخذ يدعو إلى عقد مؤتمر من مختلف فئات الهنود سواء الهندوس أو المسلمين أو المسيحين أو الأغنياء أو الفقراء وفعلاً يمكن القول بأنه نجح في تأليب الرأى العام في الهند وبريطانيا ضد التشريع المقدم من حكومة جنوب افريقية لحرمان الهنود فيها من حق التصويت وبفضل مقالات غاندي ورسائله وخطبه في مختلف أرجاء الهند أمكنه جذب الرأي العام إلى جانبه ولكن الغريب أن المجلس التشريعي في بريتوريا صمم على إصدار هذا القانون وحاول غاندي إقناع الملكة فيكتوريا برفض التصديق على هذا القانون ولكن لم يكتب لغاندي النجاح . وفي ١٨٩٩

نشبت الحرب بين الانجليز والبوير وقاسى الهنود من جراء هذه الحرب من الطرفين وكان موقف غاندي إلى جانب الانجليز وكان رأيه في هذا أنهم أهون الشرين وأخذ يبذل قصارى جهده في اقناع الهنود في جنوب افريقية بالتبرع بسيارات إسعاف للصليب الأحمر البريطاني وتطوع أكثر من ألف من الهنود للقيام بتمريض الجرحى .

- وبعد أن مكث غاندي بجنوب افريقية حاول أخذ أجازة لمدة ستة شهور يذهب فيها إلى الهند ويحضر أسرته ويعود بعد ذلك إلى جنوب افريقية لمواصلة نشاطه في سبيل تحقيق أهدافه وهي الوقوف مع هنود جنوب افريقية حتى يحصلوا على جميع حقوق البيض ويقضي على العنصرية المتطرفة بجميع مظاهرها .

- وكان غاندي قد استقر بمدينة دربان وكسب كثيرا من وراء عمله بالمحاماة مما جعله يعيش عيشة مترفة فسكن في سكن ممتاز وفي موقع رائع وأصبحت أسرته بعد ذلك عندما حضرت إلى جنوب افريقية تعيش معيشة راقية وتستخدم

الشوكة والسكينة في تناول الطعام وأصبحوا يلبسون الأحذية والجوارب وكان غاندي رغم ذلك هندياً يعيش وقد جمع كل السلطات في يده كزوج وأب لا يقبل المناقشة ولا يعرف لسلطانه حداً وإن كانت زوجته قد كرهت فيه هذا الطغيان وهو رجل كريم مضياف جعل بيته مأوى لكتبه مكتبه وأصدقائه ينزلون لديه أياماً وحينما صمم غاندي على السفر إلى الهند أقام له مواطنوه حفلة قدموا فيها الجواهر والذهب وخص زوجته منها قلادة ذهبية رائعة فلما وصل بيته لم ينم طوال الليل وعندما انبلج الصباح صمم على إرجاع كل هذه الهدايا وصمم غاندي على أن يبيع هذه الجواهر لأن الناس اشتركوا في أثمانها ويؤسس بثمنها « مؤسسة المنافع العامة وأقتنع ولديه « هاريلال » « ومانيلال » ولكن زوجته رفضت رد القلادة فقال لها إنني سبق أن حرمت عليك إرتداء الأساور ونفذت فعلاً هذا الأمر فردت عليه أنها نفذته ولكن في نفس الوقت احتفظت بهذه الأساور لحين يكبر أولادها ويتزوجان فتعطيها لزوجاتهما .

• ولم تكن هذه المدة التي حددها غاندي هي أجازة بالمعنى الصحيح ولكنه قضى جانباً منها متجولاً في مدن الهند في محاولات لاقناع أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها وبعض الشخصيات ذاتِ النفوذ بحالة هنود جنوب افريقية المتدهورة والتي تنتقل من سيء إلى أسوأ ولكن الطاعون كان قد ظهر وباؤه في راجكوت حيث قام غاندي بنفسه بالتطوع في عمليات الإسعاف والاستغاثة في المناطق التي أصابها هذا الوباء المدمر ولعل أخطر المناطق التي غامر بنفسه فيها لإنقاذ سكانها هي مساكن المنبوذين وليس بمستغرب أن نعرف أن غاندي أخذ يدعو إلى نظافة دورات المياه بل أنه شارك بنفسه في تنظيفها بينما كان هذا العمل مقصوراً على الهنود المنبوذين .

• وفي ١٩٠١ كان غاندي قد وصل إلى بومباي لحضور المؤتمر الهندي في كلكتا وفي نفس الوقت كان غاندي يكسب من المحاماة في افريقية ما يزيد عن خمسمائة جنية في الشهر فخشى أن يصبح من هواه جمع المال ويتحول عن هدفه

الأصلي واستطاع أن يقنع أصحابه بهذا الأمر في جنوب أفريقية وإن كان هذا الاقتناع من جانبهم نتيجة لجهد كبير من جانب غاندي ووعدهم أنه سوف يعود إلى جنوب لأفريقية إذا احتاجت إليه الجالية في غضون عام . وفي الواقع أن سفر غاندي إلى الهند كان خطة ناجحة في وقت مناسب لعرض قضيته الهنود في جنوب افريقية على المؤتمر الهندي الذي يعقد في كلكتا وبعد أن قدم مشروع القرار وشرحه لأعضاء المؤتمر عن هنود جنوب افريقية وافق عليه المؤتمرون بالإجماع .

● وسرعان ما استدعاه المواطنون الهنود بجنوب افريقية ليرأس وفداً من هنود ناتال لعرض القضية على وزير المستعمرات البريطانية الذي كان قد حدد موعد زيارته لجنوب افريقية وقد كان لإستقرار غاندي ثلاثة سنوات متصلة في جنوب افريقية أن ذاعت شهرته ونجاحه كمحامي يدافع عن قضايا المظلومين وكان يخطب في المؤتمرات ويقدم المذكرات للوزراء وينشر المقالات في الصحف والمجلات وكان غاندي قد عقد عدة

حتماعات في بومباي ومدراس وعندما استعاده مواطنوه الهنود من ناتال أخذ روجته وأولاده وتوجه إلى الباخرة ومن الصدف الفعلية أن سفينة اخرى كانت محملة بالهنود الذين صممو على الرحيل إلى جنوب أفريقية بحثاً عن عمل سافرت في نفس الموعد الذي سافرت فيه سفينة غاندي وكلا السفينتين صاحبهما واحد وهو دادا عبد الله الذي كان قد وكله في قضيته المشهورة وعندما وصل خبر هده السفينة المحملة بالهنود إلى جنوب افريقية اعتقد رجال الحكومة البيص أن غاندي وراء وصول هذه السفينة بهدف إغراق جنوب افريقية بأعداد كبيرة من الهنود حتى تكون لهم السيطرة والنفوذ ولكن السلطات استعدت لهذا الهجوم المفاجيء فحجزت الباخرتين في الحجر الصحي لمدة خمس ايام وهي المدة المتعارف عليها قانونا ولم يسمح لأحد من ركابها بالنزول إلى البر وصمم رجال ديربان البيض على عودة كلا الباخرتين وبالطبع من عليها ومن ضمنهم غاندي وأسرته

- عرضت سلطات جنوب افريقية تعويض مالك الباخرتين وهو (دادا عبد الله) الهندي وكان هذا العرض يحمل بين ثناياه في نفس الوقت كل مظاهر التهديد ولكن رفض دادا عبد الله وصمد لكل هذه المحاولات فلم يستجب مطلقا لأي تهديد واستمرت الباخرتان ثلاثة وعشرين يوماً وبعدها بعث النائب العام الانجليزي لغاندي يطلب إليه النزول إلى البر ليلا في جنح الظلام ولكن المستشار البريطاني (أيضا) لدادا عبد الله اشار بعكس هذا التصرف كما أن غاندي رفض رفضاً باتاً النزول إلى البر متستراً بالظلام كأنه أحد قطاع الطرق أو كأنه لص مطارد من العدالة .

- وفي ضوء النهار الساطع هبطت زوجة غاندي الحامل ومعها ولداها إلى البر واستقلوا عربة إلى منزل رجل هندي أما غاندي فقد حاول اللحاق بهم وكان برفقته المستر لوتون وهو المستشار القانوني لدادا عبد الله سيراً على الأقدام ولما عرفه بعض الناس حدث زحام رهيب حولهما وفصل الغوغاء من البيض بين غاندي والمستشار الانجليزي وانهالوا

ضرباً بالحجارة والبيض والطوب على غاندي ثم ألقوا بعمامته على الأرض وركلوا بأرجلهم جسم الرجل النحيل والنحيف في آن معاً والأعزل في نفس الوقت حتى أصيب غاندي بنوبة من الإغماء ورغم ذلك استمروا في إيذائه وتصادف مرور زوجة الحكمدار الانجليزية وهى سيدة فاضلة تعرفه فحالت بين الدهماء وبين غاندي وحضر رجال البوليس ورفض غاندي الالتجاء إلى مركز الشرطة وإن قبل حراسة الشرطة لمنزل الرجل الذي استضافه واستضاف أسرته قبله فلما حاول بعض هؤلاء الرعاع مهاجمة الدار اضطر الحكمدار إلى إتباع خدعة معينة وهي أن يلبس غاندي زي رجل الشرطة ويسير مع اثنين من رجال البوليس السري ويخرج من الباب الخلفي للمنزل إلى مركز البوليس ليستقر فيه ثلاثة أيام حتى تهدأ الحالة .

- وعندما أذيعت أنباء هذا الاعتداء ووصلت إلى لندن كتب تشمرلين وزير المستعمرات البريطانية إلى حكومة الناتال يطلب إليها محاكمة الجناة فورا – وكان غاندي يعرف بعضا

منهم – لكنه رفض تقديمهم للسلطات وقال : لست ارى لهم أي ذنب فيما ارتكبوه من أخطاء معي وأن ديني وخلقي يمنعاني من الإيذاء أو الاعتداء وأنا لا أرد العدوان بالعدوان .

● وقد بدأت حياة غاندي في التغير تدريجيا فبعد شدة حرصه على ارتداء أفخم الملابس الأجنبية والظهور بالمظهر الملائم بالمحامي البريطاني فقد أخذ يتعلم كيف يغسل ملابسه بنفسه وكيف يمكنه أن يصنع النشا ليستخدمها في ياقات قمصانه البيضاء قبل أن يتم كيها كما تعلم في جنوب أفريقية أن يقص شعره بنفسه وأن ينظف الأطباق التي يستخدمها في تناول طعامه كما أنه يشتغل يوميا في أحد المستشفيات كمساعد كما قام بتعليم أولاده وابن أخيه في منزله كما اكتسب خبرة بطرق الوضع وفعلاً ساعد زوجته في ولادة طفلهما الثاني .

● ولم يكن هناك شيء في الوجود يمكن أن يسعد غاندي أكثر من أن يرى الناس يعملون متعاونين متحابين متآلفين وقد سموا بأنفسهم فوق خلافات العقيدة والطبقة والجنس .

عندما انتهت الحرب بين الانجليز والبوير التي وقف فيها

غاندي وهنوده إلى جانب انجلترا وانتهت بانتصار الانجليز كان الأمل يداعب الهنود في أن تتم المساواة بين جميع رعايا الامبراطورية البريطانية ولكنهم فوجئوا بأن الحاكم البريطاني مستر سمطس General Smits أصدر قرارا بهيمنة البيض على كل مقدرات الدولة وحدهم مهما صادفهم من مصاعب وعقبات .

- وفي ١١ سبتمبر ١٩٠٦ دعا غاندي الجالية الهندية إلى عقد اجتماع في قاعة المسرح الامبراطوري في جوهانسبرج وكان الدافع إلى هذا الاجتماع أن الحكومة قررت تسجيل أسماء الأسيوين بهدف منع هجرة الهنود إلى جنوب افريقية ومضايقة التجار الهنود وأنذر غاندي المجتمعين بأن من يقاوم الحكومة ويرفض تقديم اسمه سيتعرض حتما إلى مصادرة أمواله وممتلكاته وسوف يسجن وهدد غاندي بأنه لو تخلى عنه كل الهنود سيضطر إلى مقاومة الحكومة بمفرده وقرر الاجتماع بالإجماع عدم تسجيل أسماء الأسيوين .

- أصدرت الحكومة انذاراً للهنود يتضمن ضرورة تسجيل

أسماءهم وحددت لذلك شهراً ينتهي موعده يوم ١٩٠٧/٧/٣١ ولكن كان غاندي قد شكل جماعة المقاومة السلبية The Passive Resistance Assocation واستعان بصحيفة الرأي العام الهندي The Indian Opinion لتعبر عن لسان حركة المقاومة .

وكان رد الفعل كبيراً فلم يسجل اسمه غير ٥١١ هنديا فقط وفشلت حركة الحكومة .

وبعد انتهاء الموعد الذي حددته حكومة الترانسفال بدأت الحكومة في سياسة القمع فقدمت غاندي للمحاكمة ولكن القاضي لم يحكم عليه بأكثر من ثلاثة شهور سجن واحترم الظروف التي، دفعت غاندي إلى موقفه هذا وقدرها كل التقدير وبعد ذلك امتلأت سجون جوهانسبرج بكل من لم يسجل اسمه متحدياً قانون الحكومة وكانوا يعطونهم في السجن أقل كمية من الأطعمة يمكن أن تقدم لأمثالهم من المساجين ونجحت حملة غاندي مما أجبر الحكومة على الافراج عن المعتقلين وزار سمطس غاندي في سجنه وطلب

منه أن يكون موضوع تسجيل الأسماء اختياريا ولكن سمطس لم يكن جاداً فلم يف بوعده مما دفع غاندي أن يتزعم حركة حرق شهادات تسجيلهم وقام غاندي يتقدمهم في هذا المضمار وحرق شهادة تسجيله وتبعه الهنود رغم استخدام العنف معهم وألقوا بهذه المستندات في النار أمام أعين رجال البوليس الذين أحاطوهم من كل جانب وكان رد الفعل بالطبع أن أمر سمطس بسجن كل هؤلاء مرة أخرى فامتلأت السجون حتى فاضت وحكمت عليهم المحاكم بالأشغال الشاقة وعاملوهم معاملة في منتهى السوء داخل السجن مات من أثرها مئات الشباب الهندي المسجون ولما لم تسع السجون هذه الأعداد الهائلة أقام سمطس خياماً للمسجونين أما عن غاندي فقد سجنوه مرة أخرى وهذه المرة وضعوه مع عتاة المجرمين من القتلة واللصوص ولكن رغم كل هذا فقد صمد غاندي ولم تلن له قناة .

- ولكن رغم هذه المعاملات السيئة من حكومة الترانسفال للهنود الذين أودعتهم السجون حتى فاضت بهم هذه السجون واستخدمت معهم كل أساليب البطش والإهانة

والحرمان ولم تعط أي مسجون منهم سوى كسرات خبز معدودة في اليوم لكي يظل على قيد الحياة فقط . . . أقول رغم كل هذا فإن السجن لم يؤثر في الهنود وعلى الرغم مما واجهته حركة « الساتيا جراها » وهي كلمة هندية معناها (الثبات على الحق دون استخدام العنف) ظلت روح غاندي المعنوية عالية وظل الهنود يخرجون من السجون ليعودوا إليها مرة اخرى بمنتهى السهولة فلما لم يؤثر السجن على الهنود ولا هذه المقاومة البشعة فكرت الحكومة في طرد الهنود نهائيا من جنوب افريقية وإبعادهم إلى موطنهم الأصلي مما دفع غاندي إلى رفع قضية ضد الحكومة وحكمت المحكمة ببطلان فكرة الإبعاد .

- ولم يكن غاندي يهدف من وراء المساواة السياسية للهنود حصولهم على حق الانتخاب أسرة الأوربين وكفالة الحقوق المدنية في ممارسة كل أنواع النشاط .
- أما الأوربيون فكل ما كان يخيفهم هو أن يصل الهنود إلى السيطرة التدريجية على اقتصاد الدولة .

• وفي شهر فبراير من عام ١٩١١ أصدرت حكومة الترانسفال بيانا برفع الحاجز العنصري ولكن كان رفع الحاجز العنصري مشروطاً بإجراء اختبار ثقافي مبني على التشدد بصورة لا مثيل لها لكل فرد يريد أن ينزح من الهند إلى جنوب أفريقية .

• هذا وبفضل ضغط الراي العام الهندي على الحكومة البريطانية وبمناسبة قرب تتويج جورج الخامس تم اطلاق سراح سجناء المقاومة السلبية في أول يونية ١٩١١ .

• أما المحكمة العليا في جنوب أفريقية فقد اصدرت حكماً ببطلان جميع الزيجات التي لم تتم وفقاً للطقوس المسيحية ومعنى هذا أن جميع الأبناء الهنود غير شرعيين وليس هذا فقط بل إن جميع زوجاتهم تعتبر نسوة ساقطات في نظر هذا المجتمع « الأبيض » وكان رد الفعل من جانب غير المسيحين عنيفا فقام عمال المناجم بإضراب شامل ترتب عليه أن توقفت المناجم عن الانتاج وأصابها الشلل فقبضت الحكومة على غاندي وفرضت عليه إدارة السجن قطع الأحجار

وتنظيف الأرض وبعد ذلك صدر قرار بنقله إلى سجن بريتوريا حيث أودع إحدى الغرف المظلمة الشديدة الضيق وفي نفس الوقت قيدوا يديه وقدميه بقيود حديدية .

• فثار الرأي في الهند ثورة جامحة وتخوفت حكومة بريطانيا في لندن من سوء العاقبة وطالب نائب الملك في الهند بإيفاد لجنة للتحقيق في الفظائع التي ارتكبتها الحكومة وترتب على ذلك إطلاق سراح غاندي وقابل سمطس الذي ألغى الضريبة المفروضة على كل أسيوي وقدرها ثلاثة جنيهات كما ألغى القانون الخاص بعدم شرعية الزواج .

غاندي الأب

أصيب « مانيلال » ابن غاندي الأصغر بإلتهاب حاد في الرئة فضلا عن التيفود فاستدعى طبيب فارسى وبعد الكشف الدقيق على ابنه قرر أن علاجه وبالتالى شفاءه يترتب على أمرين الأول التمريض الجيد والثاني الانتظام

في تناول الطعام على أن يكون الطبق الأول في علاجه من اللحوم والبيض فأفهمه غاندي أنه من غلاة النباتيين ولكن الطبيب صمم على أن الوجبة الرئيسية في الطعام لكي يسهل شفاءه لابد أن تكون من اللحوم وأفهمه أن حياة ابنه في خطر إذا لم يتناول هذه اللحوم وكان ابنه هذا في العاشرة من عمره فوافق رأي والده أن لا داعي لتناول اللحوم مطلقاً وكان الطفل مريضاً ولا يقوى على الحركة وبالتالي لا يستطيع أن يغير رأي والده فلم يكن يستطيع إلا أن يوافق على عدم تناول اللحوم . وأخذ غاندي يعالجه بالاستحمام بالماء الساخن يومياً عدم تناول أى لون من الطعام لمدة ثلاثة أيام إلا من عصير البرتقال فقط والعجيب أن حرارة ابنه ارتفعت بشكل مخيف وقال غاندي إن الموت والحياة بيد الله وهو كأب تتحطم أعصابه لمرض ابنه فأتى غاندي بملاءه وبللها بالماء ولف بها الطفل حتى يعرق فيخف ولكن رغم هذا فحرارة جسمه ظلت مرتفعة وكانت حرارته جافة فكاد عقل غاندي يفارقه فأخذ

يجوب الطرقات ويكلم نفسه ويحدث الله ويدعوه « يا رب حنانيك » وظل يجوب هذه الشوارع إلى أن كلتّ قدماه فعاد إلى البيت وهو لا يكاد يقوى على الوقوف وسمعه ابنه فقال له أتيت يا أبي فرد عليه الأب غاندي نعم حضرت يا حبيبي وطلب منه ابنه أن يأخذه إلى الخارج لأنه يكاد يحترق وبعد دقيقة خفف عنه الغطاء تدريجياً ووجد جسمه كله عرق فأخذ يجففه فهبطت درجة حرارته وفي اليوم التالي اصبحت حرارته عادية جدا وظل غاندي يواظب على علاجه لمدة شهر كامل بعصير الفواكه واللبن حتى تماثل للشفاء التام وعلق غاندي اشكرك يا ربي لأنك سترتني .

سياسة غاندي في جنوب افريقية :

- لمع اسم غاندي في كل ركن من اركان جنوب افريقية واتسم اسمه بمحاربة القوة المسيطرة الظالمة ولكن بأسلوب سلبي مطلق بل أنه يدعو إلى القيام بمظاهرات والوقوف ضد الأساليب العنصرية على شريطة عدم الالتجاء إلى العنف

ورغم أن هذا الأسلوب يعبر أصدق تعبير عن أسلوب أخلاقي رفيع إلا أن المجتمعات البشرية لا تقيم أهمية إلا للقوة الغاشمة .

- من الطريف حقاً أن اختلفت المصادر التي استقى منها غاندي أسلوبه وأخلاقياته في الكفاح فإذا نظرنا إلى الاتحاد السوفيتي فإننا نجده يرجع ذلك إلى تأثر غاندي الشديد باتجاهات ليوتولستوى وبصفة خاصة قصة الحرب والسلام أما إذا وجهنا نظرنا تجاه بريطانيا فإن الانجليز يقولون أنه أثناء الثلاث سنوات التي قضاها غاندي في دراسة القانون بلندن فإنه تأثر تأثرا كبيرا بفلسفة الفلاسفة الانجليز وفي مقدمتهم جون راسكين . أما فرنسا فتقول إن غاندي أخذ بمبدأ أنصار السلام من المسيحين ومن أقوال السيد المسيح وقال المسلمون إن سبب سلوك غاندي مذهبه هذا هو إعجابه برسول الإسلام . أما في نظري فإنه يمكنني أن أقول أن كل ما سبق جمعها غاندي في بودقة انصهرت فيها كل المبادىء السامية والرقيقة والعظيمة التي قرأها واستوعبها .

• ما من مرة صدر قرار بسجن غاندي واستمر في السجن طوال مدة العقوبة لأن الانجليز كان سرعان ما يأمرون بالإفراج عنه خوفاً من الهنود رغم علمهم بأن غاندي هو الزعيم الروحي لحركة العصيان المدني وقد لجأت الحكومة إلى فصل العمال المضربين وتخفيض أجورهم في بعض الأحيان لتأكدها أن هؤلاء العمال معظمهم أرباب أسر وسوف يخنعون ويخضعون في النهاية وإلا شردت أسرهم وقد سبق أن أفهمهم غاندي بتحمل كل هذه الصعوبات مهما حدث .

• طلب غاندي من أنصاره ومريديه الموجودين في ناتال وعددهم يقدر بعشرات الألوف أن يبدأوا زحفهم المقدس إلى الترانسفال في حركة تعبر عن احتجاجهم الصامت وطلب منهم غاندي ألا يحمل أي منهم أى نوع من السلاح حتى ولو كان هذا السلاح عصا إعتاد أن يمسكها وسرعان ما استجاب الجميع حتى النساء والأطفال والمرضى فاضطرت الحكومة إلى محاولة إيقاف هذه المسيرة وهددت

غاندي باعتقاله والقائه في غياهب السجون ولكن غاندي لم تهتز له شعرة وكان هدفه من هذه المسيرة السلمية إثارة الراي العام العالمي : ضد البيض وضد النظام العنصري المقيت وفعلا انتشرت أخبار هذه المسيرة الضخمة في جميع صحف العالم الكبرى .

● وخلقت المسيرة التي جمعت أكثر من خمسين ألفاً ، حالة من الفزع لدى البيض في الترانسفال مما اضطر الحكومة وعلى رأسها سمطس بتكليف كل قوات الجيش والبوليس والاحتياطى بوقف هذه المسيرة قبل أن تصل إلى الترانسفال بأي وسيلة حتى ولو لجأت إلى اطلاق الرصاص عليهم وقتل آلاف منهم وفعلا حدثت المواجهة بين الطرفين وكان غاندي وزوجته في مقدمة هذه المسيرة فتقدم قائد القوات المسلحة إلى غاندي وأفهمه حفاظاً على حياة هذه المسيرة أن تقف فوراً لأن سمطس أمرنا بإطلاق الرصاص فوراً فرد غاندي ببساطة وثقة فقال له يا عزيزي القائد أعتقد أن أوامر سمطس قد صدرت لكم ولكنها لم تصدر لنا ونحن لا نسمع ولا

تطيع إلا شيئاً واحداً هو صوت الحق فرد القائد غاضباً إذن سأصدر أوامري إلى رجالي بإطلاق الرصاص عليكم فوراً وكان رد غاندي : افعل ما يسمح به ضميرك ولكن يجب أن تعلم جيداً أنني لو أمرت هذه الجموع المحتشدة لأفنوكم عن آخركم وإن كنت لن أفعل ذلك وهنا أدرك قائد القوات العسكرية إنه في حالة إطلاقه وابلاً من الرصاص على هذه الجموع فسوف نقتل منهم البعض فقط ولكنه من نظرته إلى وجوههم وجد علامات التصميم على المضي في هذه المسيرة الشعبية الجارفة التي ينضم إليها البعض كلما زادت المسافة التي يقطعونها لأنهم استلهموا قوة الإرادة من المهاتما غاندي وكلمة « المهاتما » يعني الروح العظيم أو الروح الكبرى لأن هذا الرجل هو روح الهند كلها . ويظهر أن غاندي أدرك ما يدور في ذهن القائد فقال له : إنني لست مسيحياً كما تعلم وإن كنت أؤمن بأقوال السيد المسيح وأقدسها وأنا لا أفرق مطلقاً بين الأديان ولكن الشيء الوحيد الذي يسترعى انتباهي وهو هدفي في نفس الوقت هو قوة الخير والإيمان

بالله وسأواصل مسيرتي وإذا صفعتني على خدي الأيمن سأدير لك خدي الأيسر كما قال المسيح . فرد القائد عليه قائلاً إنني لن اصفعك ولكني سأقبض عليك لأنك المحرض الكبير لكل هذه الجموع فما كان من غاندي إلا أن ابتسم ابتسامة عريضة وقال له : اقبض علي إذا شئت وثق إنني لن أحقد عليك بل سأدعو الله إلى أن يهديك إلى طريق الخير والحق و ب يلهمك المحبة بين الناس فهي طريق السعادة سواء في الدنيا أو الآخرة ولن تصدقني إذا قلت لك إنني أحبك رغم أنك أحد خصومي . ولم يستطع القائد أن يقبض عليه فتقدم مساعد القائد وطلب من رئيسه القبض عليه خوفاً من أن يعاقب عسكرياً إذا لم نقبض عليه فرد القائد افعل أنت هذا وأقبض عليه وفعلا أعلن المساعد لغاندي هذا الخبر « أنت الآن مقبوض عليك ورد عليه غاندي مبتسما : افعل ما شئت يا صديقي العزيز والتفت غاندي إلى معاونيه وقال لهم بأعلى صوت استمروا في الزحف مهما قابلتم من صعاب وكل منكم غاندي فلو انني مت أو قتلوني فليحمل كل

منكم شعلة الحق حتى تعيدوا إلى المظلومين كل حقوقهم المهضومة . وأطرق المساعد برأسه وقال لغاندي إنك فعلاً لرجل عظيم وربت على كتف غاندي ولكني مضطر لتنفيذ الأوامر ورد عليه غاندي نفذ يا صديقي العزيز وأنا الآن أسيرك!

• وتم اعتقال غاندي وطبقاً لتعليمات سمطس وضع في السجن لحين موعد محاكمته وكان سمطس يعتقد أن سجن قائد هذا الجيش السلمي سوف يجعل هذا الحشر العظيم يتفكك وينهار ولكن ما غاظه أن الزحف قد استمر فأطلق عليهم الجنود الرصاص من كل جانب ورغم ذلك لم تلن قناتهم بل استمر الباقون في المسيرة الشعبية الرائعة رغم أن الجندي الذي تنفد ذخيرته لم يكتف بهذا بل كان يضرب الثوار بكعب بندقيته أو بقبضة مسدسه وامتلأت السجون بأعداد كبيرة منهم حتى اضطر سمطس إلى بناء مخيمات كبيرة تتسع لغيرهم ووصلت أنباء هذه الأحداث المؤسفة إلى الهند وإلى جميع دول العالم من خلال المراسلين البيض للصحف الذين هزتهم

هذه المأساة واتهم الألمان والفرنسيين الآنجليز الاستعماريين بأنهم شوهوا سمعة المدنية الأوربية ولطخوا وجه الإنسانية بالعار ولم يقف الأمر عند حد الصحافة الأجنبية بل أن بعض صحف جنوب أفريقية هاجمت الحكومة وأتهمتها بأن تصرفاتها تتنافى مع أبسط القواعد الإنسانية واتهمت أعضاءها ورئيسها بأن لا ضمير ولا اخلاق لديهم .

- وسرعان ما عقد مجلس الوزراء في ١٠ داونج ستريت في لندن .وقرر إرسال لجنة للتحقيق ورغم كل هذا فقد بقى سمطس على عناده بل إنه لم يحدد موعد محاكمة غاندي وفي هذا إهدار لديقراطية انجلترا التي تفاخر بها دائما .

- وأعلن غاندي أنه سوف يبدأ اضرابه عن تناول الطعام حتى يقف في ساحة المحكمة ويمنح حق الدفاع عن نفسه أمام محكمة علنيه وهذا ما يفترض أن القانون يكفله وترتب على إجراء غاندي تخوفاً شديداً لدى سمطس لأن توقع أنه سيفضح تصرفاته وبهذا يجلب موجه سخط عارمة ضده وضد حكومته وفي نفس الوقت تزداد شعبية غاندي .

● وعندما خرج من السجن إستقبله عشرات الألوف وعدد لا حصر لهم من مراسلى الصحف العالمية وكانت زوجته كاسترباى في مقدمة مستقبليه ورغم هذا النصر العظيم الذي أحرزه غاندي فقد كان يسير مطاطىء الرأس وزاد تواضعاً على تواضعه الجم!

غاندي المزارع

اشترى غاندي مزرعة ١٩٠٤ على تل قرب ديربان ونقل إليها مطبعة أشرف عليها ابنه مانيلال الذي شفاه من مرضه ولكن رغم ذلك فغاندي يرعى مصالح مواطنيه في المحاكم والدواوين في جوهانسبرج .

● أما رئيس تحرير الصحيفة فكان انجليزيا نباتياً يدعى بولاك أحبه غاندي واسكنه بيته واعتبره كأحد أبنائه لدرجة أنه كان يريد الزواج من مسيحية رغم أنه يهودي وزوجه غاندي منها كما زوج كثيرا من أصحابه وأقام الجميع مع غاندي .

- وهكذا وجدنا أن أسرة غاندي خلال عامي ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ كانت تقيم فترة في جوهانسبرج وفترة في المزرعة .

- وكانت مساحة هذه المزرعة مائة فدان وأنشأ غاندي بالمزرعة قاعة للإطلاع وتناول الطعام وعقد الندوات والاجتماعات وتم تخصيص ثلاثة افدنه لكل فرد لا يجوز لأي منهم أن يبيعها وإن حق له التنازل عنها للغير وكان كوخ غاندي هو محور حياة المستعمرة ومركز نشاطها الثقافي والاجتماعي وكان أعضاؤها يجتمعون يوم الأحد من كل أسبوع للصلاة التي كانت تتشكل من أبيات من « جيتا » ومن الإنجيل وكانت الأناشيد الهندية تختلط بالترانيم المسيحية إعلانا عن تسامى المستوطنين عن فوارق العقائد الدينية .

- ولم يقدر لمشروع المزرعة النجاح لأنه كان في حاجة إلى أموال كثيرة .

• بدأ غاندي يدرب نفسه على الصوم فكان يصوم يوماً ويفطر في اليوم الثاني ويحتوى طعامه على وجبتين فقط في اليوم خفيفتين من الفواكه والبندق وتجنب المشهيات حتى يقلل من طعامه .

• وفي ١٩٠٦ تخلص من المشكلة الأخيرة وهي مشكلة الجنس مهما كانت حلالاً حتى لا يخضع نفسه للمتطلبات البشرية حيث وافقته زوجته على وقف الاتصال الجنسي بينهما إلى الأبد وتم ذلك على أن ينام كل منهما في حجرة منفصلة عن الآخر وأن لا يصل إلى سريره إلا بعد أن يكون الإجهاد قد حل بكل أجزاء جسمه وفي هذه الحالة ينام سريعاً . وكان عمر غاندي سبع وثلاثين عاما فقط واستمر على هذه الرهبنة حتى مات ١٩٤٨ .

أثر تولستوى على شخصية غاندي

ما من شك أن ليو تولستوى الرجل الذي بلغ قمة الشهرة لا في الروسيا فقط بل في كل أنحاء العالم له اثر عظيم على غاندي الذي أعجب به اعجاباً لا حدود له عندما تنازل عن كل ضياعه الواسعة لزوجته وأولاده وعاش حافي القدمين في زي فلاح فقير وأقلع نهائياً عن التدخين وأكل اللحوم وصيد الحيوانات وأصبحت كل رياضته المشي لمسافات طويلة وركوب الدراجة فاتصل به غاندي ، وفي ١٩٠٩ كتب إليه غاندي ينبئه عن حركة المقاومة السلمية التي يقوم بها هنود الترانسفال بعيدا كل البعد عن استخدام أي لون من العنف فشجعه تولستوي وأثنى على تفكيره .

● وكان غاندي قد قرأ أعداداً كبيرة من مؤلفات تولستوي وأعجب بها أشد الأعجاب .

غاندي إنسان لا يعترف باليأس

حدث أن أحد أعوان غاندي لعب دور الجاسوس عليه فخانه وكان يبلغ الحكومة عن جميع تحركاته في جنوب افريقية ولكن غاندي لم يكاشفه بشيء من ذلك .

- وما لبث هذا الرجل أن حارب غاندي بكل الأسلحة الخسيسة .
- مرض هذا الرجل يوماً مرضاً شديداً فذهب إليه غاندي لزيارته وأمده ببعض المال الذي كان وقتها في اشد الحاجة إليه .
- ندم الرجل على ما حدث منه تجاه غاندي .

مزرعة تولستوى

كون غاندي صندوقاً تعاونياً يعطى الفرصة لأعضاء حركة المقاومة السلمية أن يعيشوا معاً عيشة قائمة على البساطة والفطرة وعندما تبرع « هرمان كالنباخ » وهو من محبي غاندي بمزرعة واسعة فى ضواحي جوهانسبرج قام غاندي بإطلاق اسم تولستوى عليها وكانت مزرعة اشتراكية .

- كان عمل غاندي صناعة الخبز الذي أجاده كما تعلم صناعة الأحذية وبعض مباديء النجارة وأخذ ينقل خبراته هذه إلى أعضاء هذه المزرعة وكان يقيم فيها عائلات المعتقلين أو المسجونين من الهنود مع ملاحظة أن التدخين والخمر من المحرمات على هذه المزرعة .
- كان غاندي يسير يومياً على قدميه من المدينة إلى المزرعة قاطعاً مسافة عشرين كيلو متر ماشياً على الأقدام .

● وعاش راهب المزرعة مع غاندي في المزرعة وهو من كبار الأثرياء وشارك غاندي مشقات العمل والطعام والصوم .

● ولما خشى في المزرعة على تعاون الفتيات مع الفتيان في الأكل والنوم رأي أن يبعد المشاكل التي يمكن أن تنجم عن هذا الاختلاط السافر وهداه تفكيره إلى حلق شعور البنات وقام هو بذلك بيده!

المؤثرات الدينية في حياة غاندي

أسرة غاندي لا سيما والدته جعلت من عقيدتها الهندوسية عماد حياتها وقوام تفكيرها بل إنها طبعت أمورها المادية والمعنوية تبعاً لإيمانها الصادق .

● أقبل غاندي على دراسة الانجيل فأخذت بمجامع قلبه موعظة الجبل ومست أقوال المسيح شغاف قلبه « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أصغوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذي يسيئون إليكم ويطردونكم ، من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الآخر ايضا ومن أخذ رداءك

فلا تمنعه من ثوبك أيضا ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، ومن سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده .

- طابق غاندي بين اقوال السيد المسيح وأبيات للشاعر الهندي « شاملال بهاني » فوجدها تتشابه حيث أن أبيات الشاعر الهندي ترتكز على مقابلة الإساءة بالإحسان ومواجهة الكراهية بالمحبة ومجابهته الشر بالخير .

- وقد ظلت هذه المعاني تعتمل في ذهن غاندي ويجيش بها صدره وتترسب في عقله الباطن فسيطرت على كل تفكيره فباتت تسير إرادته .

- أثناء العام الأول لإقامته في افريقية اتصلت به جماعة الكويكزر المسيحية البروتسناتية وأعطوه كميات كبيرة من مؤلفاتهم ونشراتهم التي تبحث في مختلف جوانب المسيحية حتى يجذبوه إليهم ولكن لم يوفقوا في تحقيق أهدافهم بل صمم غاندي على الإيمان الصادق بالهندوسية لأن الشعور الوطني يتغلب عليه وقال إنني لو غيرت ديني

لعزلت نفسى بنفسى عن المجتمع الهندوسى .

- وقرأ سيرة محمد (ﷺ) وفتنه صموده وجهاده وتشبثه بمثل الاسلام العليا وذلك من خلال قراءاته لمعاني القرآن الكريم بالانجليزية .
- وآمن إيماناً لا يمكن أن يرقى إليه الشك يوماً بأن الهندوسية هي دين البشرية ولا شك أن الاتجاه الوطني له أثره الكبير في ذلك .

الباب الثالث

عودة غاندى إلى الهند

عاد غاندى وزوجته كاستورباى إلى الهند فوصل بومباى في ٩ يناير سنة ١٩١٥ وكانت شهرته فى الهند قاصرة على بومباى ومدارس وكلكتا بسبب بسيط أن معظم الهنود الذين يقيمون في جنوب افريقية موطنهم الأصلى هذه المناطق المحدودة من الهند .

● وكما كان غاندى غريبا عن الهند لإقامته الطويلة فى جنوب أفريقية فهو أيضا كان يجهل الهند ولذلك صمم على أخذ جولة فى أنحاء الهند ويظل متجولاً لمدة لا تقل عن عام .

● وكان أبغض شيء لدى غاندى هو حماس بعض شباب الهند لمقاومة السلاح بالسلاح بينما كان غاندى يرى أنه

من الممكن أن يصيب بريطانيا فى مقتل لو استخدم معها الأسلوب البعيد كل البعد عن أى مظهر من مظاهر العنف

● نادى غاندى بعدة أهداف :

● أولاً . عدم التعاون مع بريطانيا فى كل النواحى التجارية والاقتصادية .

● ثانيا : محاربة الآلة لانها تستعبد الإنسان

● ثالثا : محاربة الجسد فى الحدود التى لا غني عنه فيها دون سيطرة على الروح .

● رابعا : يقول غاندى ليست العبرة بمن يحكم ولكن بكيفيه الحكم وهو يطالب بالافاده من مزايا الانجليز و علم المفيد من علمهم وهو لا يكره الانجليز وإن كان يكره سوتهم

الفصل الأول

العلاقة التى ربطت غاندى بطاغور

طاغور شاعر الهند الأعظم الذى فاز بجائزة نوبل فى الآداب سنة ١٩١٣ كان نموذج الارستقراطى المتوقد الذهن والقلب يتميز بلحيتة البيضاء التى تضفى عليه وقارا وهيبة .

- كان غاندى يمثل القائد المسالم المنتصر بينما كان طاغور هو البلبل المغرد .
- رأى غاندى أن يرسل ابنه ليتعلم فى مدرسة طاغور بالبنغال .
- كان غاندى وطاغور أولاد جيل واحد بل يكادا يتفقفان فى العمر .

- طاغور هو الذى أطلق على حبيبه غاندى لفظ « المهاتما » ومعناها الروح العظيم فى رداء الشحاذين .
- غاندى هو الذى أطلق على طاغور لقب « الحارس العظيم » .

صومعة غاندى

أصبحت هذه الآونة أسرة غاندى هى الهند كلها فأقام صومعة قوامها مجموعة من الأكواخ يتعايش فيها مع مريديه ومحبيه حياة اشتراكية كما فعلوا فى مزرعة تولستوى وذلك فى مدينة « احمد أباد » على مسافة ميل فقط من سجن المدينة الذى سيكون منزلاً لهم بعد قليل وحجرة غاندى صغيرة بها نافذة صغيرة ذات قضبان حديدية ولها شرفة ينام فيها غاندى مهما كانت حالة الجو ولم يغادرها على مدى ستة عشر عاما إلا ليذهب إلى السجن وكان أتباع غاندى يعيشون فى هذه الأكواخ البيضاء المغطاة بأغصان الشجر الوارفة الظلال ثلاثون فرداً

زادوا إلى ثلثمائة وثلاثين فرداً . وترك غاندى الزى الغربى ولا يستر جسده شبه العارى إلا بشملة من القطن . ولما كان معظم سكان الهند أى حوالى أربع أخماس السكان مزارعين كان هم غاندى أن يبدأ بتحريرهم من الجهل والفقر والمرض وكان « جوخال » قد مات أواخر سنة ١٩١٥ فبقى مكان الزعامة شاغراً .

الفصل الثانى

حركة العصيان المدنى فى الهند

فى شهر فبراير سنة ١٩١٦ وبمناسبة افتتاح إحدى كليات الجامعة الهندية تمت إقامة احتفال رسمى كبير حضره نائب الملك اللورد هاردنج Harding ومهراجات الهند في قلاداتهم وجواهرهم التى لا يمكن للعقل البشرى أن يتصور كمية هذه المجوهرات التى يتزين بها كل واحد من هؤلاء المهراجات وقداستمر هذا الاحتفال العظيم ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث وقف غاندى خطيباً وقال لقد سمعنا عن فقر الهند بينما نحن نشهد فى هذا الحفل مظاهر البذخ والاسراف والثروة فكل ما يمكن أن أطلبه من هؤلاء أن يتنازلوا عن هذه الجواهر لرفع مستوى الفلاح الهندى فأخذ الأمراء ينصرفون بينما استمر الطلاب يهتفون لغاندى الذى أكمل عبارته بأنه لا خلاص للهند إلا على يد فلاحيها أما كبار

المحامين والأطباء والأثرياء فلن نستفيد منهم شيئاً وتكلم عن النجاسة وقال إنها لا شك أمر معترف فى الهند فالبرهمى إذا تصادف ولمس منبوذاً فيجب أن يستحم حتى تعود إليه طهارته وقال غاندى إننى كنت فى صغرى ألعب وآكل مع طفل من هؤلاء المنبوذين ورأى أن خطر النجاسة للأسف لا يقل عن خطر الاحتلال وأضاف أنه يجب أن تنصهر جميع طبقات الهند فى بودقة واحدة . وقد سعى غاندى أيضا إلى العمل على محو فكرة التعصب الدينى بين فئات الهند من هندوس ومسلمين ومسيحين لأن الجميع كما أسماهم « أولاد الله » .

- وفى أواخر سنة ١٩١٦ سمع عن فلاح تم تعذيبه فى قرية فى شمال الهند فوصل إليها على ظهر إحدى الأفيال وقابله أحد رجال الشرطة واقتاده إلى نقطة البوليس حيث حررت ضده مذكرة ووقع عليها بالعلم بابعاده عن المنطقة كما وقع أيضا بعصيان الأمر! فأعلن غاندى بالمحاكمة فى اليوم التالى فأبرق إلى أتباعه الذين يعيشون فى الصومعة وإلى نائب الملك

وإلى محامى صديق يقيم فى بيهار فلما انبلج الصباح كانت القرية قد امتلأت بالفلاحين وطافت المظاهرة حول المحكمة فاسقط فى يد السلطات أمام هذه الألوف واضطرت إلى الاستعانة بغاندى نفسه لتهدئة الجموع وإقرار السلام ولكنه استطاع أن يحيط الانجليز علماً بأن سلطانهم لم يعد يخيف أحداً وطلب النائب تأجيل القضية فاحتج غاندى وطلب النائب منه أن يدفع كفالة للإفراج عنه فرفض فاضطر القاضى إلى إطلاق سراحه بدون كفالة . وأعلن الفلاحون أنهم على أتم استعداد لأن يسجنوا مع غاندى إذا حكم ضده فاستبشر غاندى بذلك وأمر نائب حاكم المقاطعة بحفظ التحقيق وبهذا انتصرت حركة العصيان المدنى الأول فى تاريخ الهند الحديثة .

• وكان من نتائج هذا الانتصار أن الفلاح فى هذه الولاية أصبح يجد لنفسه حقوقاً ضاعت منه يجب العمل على استردادها بكل شجاعة لا سيما أن غاندى بقى فترة فى هذه الولاية الشمالية وكون مكتب دائم لرعاية حقوقهم أمام

الملاك وعندما استطاع غاندى أن يجمع بعض الوثائق اضطر الملاك الانجليز إلى رد جزء من حقوق الفلاحين مما بدأ يبشر ببزوغ فجر جديد على ريف الهند وهكذا بدأت عملية تحرير الهند بفلاح تعذب فى أقصى الشمال .

● وكان غاندى قد كون جماعة « ساتيا جراها » وضمت خمسة وعشرون شخصاً وذلك فى سنة ١٩١٥ بالهند أقسم الجميع على التزام الصدق والتحلى بالشجاعة والإقدام والعمل على ضبط النفس ونشر التعليم باللغة القومية وارتداء الزى الوطنى والامتناع نهائيا عن شراء أى نوع من الملابس الأجنبية أو استهلاك المنتجات الأجنبية وهى كلها بالطبع انجليزية .

الفصل الثالث
اضراب عمال نسيج مدينة أحمد أباد

• وجد غاندى عمال مصانع النسيج بمدينة أحمد أباد يقومون بحركة إضراب واسعة النطاق بسبب رغبتهم فى زيادة أجورهم الضيئلة وقد نصحهم غاندى بالاستمرار فى هذا الإضراب حتى تتحقق مطالبهم بشرط واحد هو الإبتعاد عن العنف وفعلاً أقسم العمال على تنفيذ ما طلبه غاندى منهم وهو أن تكون ثورتهم سلمية خالصة وحذرهم من أن يتعمد أحدهم إتلاف هذه المصانع ولكن يبدو أن شدة حاجة أسرهم إلى هذه الأجور رغم تفاهتها جعلتهم يخففون مطالبهم بعض الشيء وعندئذ أخذ غاندى فى الصوم والامتناع عن الطعام والشراب نهائياً ولم يكن صومه هذا احتجاجاً على أصحاب المصانع وإنما لتغذية روح العمال لكى يستمروا فى إضرابهم مهما كانت النتائج

وبعد ثلاثة أيام فقط من صيام غاندى أبدى أصحاب المصانع تقديراً عظيماً لخلق هذا الرجل النبيل غاندى واستجابوا لمعظم مطالب العمال وكان هذا أول صوم لغاندى فى الهند .

إصابة غاندى بالدوسنطاريا

● لعل من الطريف فعلاً أن غاندى عندما أصيب بالدوسنطاريا وبدا عليه الهزال الشديد رفض أن يحقن للعلاج لأنه لا يعرف المادة المكونة منها هذه الحقنة وصام وفقد شهيته للأكل فلما وضع الثلج على جسده عادت إليه شهيتة فاقترحوا عليه أن يأكل بيضاً تم تعقيمه أى لم يحدث له إخصاب من ديك فرفض البيض فى جميع صوره وأشكاله فاقترح عليه الأطباء اللبن ولكن غاندى كان قد حرمه على نفسه عندما بلغه إرهاق الفلاحين للبقر والجاموس فى استنزاف اللبن منها وعرضت عليه زوجته شرب لبن الماعز فشرب منها لأنه كان مشرفاً على الهلاك وظل يشرب بعد ذلك بصفة مستمرة بقية حياته خشية إغضاب زوجته التى كانت تثور عليه لأتفه الأسباب فكان لا يريد أن يعاملها معاملة سيئة فى شيخوختها كما عاملها فى صباها

الفصل الرابع

موقف غاندى من الحرب العالمية الأولى

- لكى نقف على وجهة نظر غاندى من الحرب العالمية الأولى تكفى الإشارة إلى أن سيدة إنجليزية تدعى مسز بيزانت Mrs . Besant حرضت الهنود منتهزة فرصة الحرب العالمية الأولى بالمطالبة بالاستقلال الذاتى للهند وحاولت استدراج غاندى ولكن الرجل بمبادئه المعروفة وخلقه الكريم رفض لأن هذا الأسلوب يتجافى مع خلقه .

- وكان من الطبيعى أن ينتظر الهنود ما وعدت به انجلترا الهند من حكومة مستقلة وأن يحكم الهند حكماً ذاتياً بعد إنتهاء الحرب العالمية التى شارك فيه الهنود مشاركة فعالة وكانت أنهار من دماء الهنود قد سالت خلال هذه الحرب .

• وعندما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء نكثت انجلترا بعهودها وأعلن غاندى أن أعظم رد على الانجليز هو الصوم العام والعصيان السلمى ودعا غاندى إلى كسر إحتكار الانجليز للملح وقرر أن حركة العصيان عليها استخراج الملح والإتجار فيه وقال غاندى للجموع المحتشدة إن الحكومة ستضطر إلى الامتثال للحق لأن مقابلة الإيذاء بالإحسان وقمع الشر وانتزاع جذوره من أنفسنا ومن أعدائنا إنما هو رفع للسياسة إلى مستوى الدين وأرسل رسالة إلى نائب الملك مؤكداً أن حركته لن تفشل لسبب بسيط أنها تقوم على قوة الروح والخلق وهذه لا يمكن أن تقهرها قوة مادية مهما بلغت .

• وبدأت بعد ذلك حركة العصيان المدنى فى دلهى فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٩ ثم فى بومباى فى ٦ أبريل ولكن حركة بومباى رغم نجاحها كانت قد اتصفت بالعنف وانتشرت منها إلى البنجاب حيث انتشرت أعمال السلب والتخريب لوقوع العداوة للأسف الشديد بين المسلمين والسيخ والهندوس وبعث القادة فى طلب غاندى ولكن السلطات

استطاعت القبض عليه وأعادته إلى بومباى حيث اضطرت إلى إطلاق سراحه لأن خبر اعتقاله أثار مظاهرات عنيفة شملت أحمد أباد وما حولها وتوجه إلى أحمد أباد وخطب فى الجموع قائلاً : إن اختراق جسدى بالسيف أهون على من أن أسمع ما سمعت من إنحراف هذه المظاهرات عن الخط المرسوم لها وإن الخزى والعار يجللانى بكل أسف ولهذا قررت للتكفير عن هذه الأعمال الشائنة أن أصوم ثلاثة أيام وأدعوكم إلى صوم التوبة أربع وعشرون ساعة .

- ولما ظهر له أن العنف وصل إلى القرى والمدن أعلن غاندى وقف حركة العصيان وأعلن أنه أخطأ فعلاً عندما جعل هذه الحركة شعبية دون أن يعمل حسابه لنوازع الشر والانتقام التى تسيطر على الجماهير الهادرة التى لم يتم تدريبها روحياً .

- ويمكن أن نقول إنه فى عام ١٩١٧ عندما هبط انتاج محصول الحبوب إلى الربع ورفضت السلطات البريطانية تأجيل سداد إيجارات هذه الأراضى فما كان من غاندى إلا أن طلب من السلطات تيسير الأمر على هؤلاء الفلاحين البسطاء

فاضطرت الحكومة إلى إتخاذ القوة سبيلها لتحقيق أهدافها ثم عادت ووافقت على رأى غاندى لأنها تعلم جيد العلم أن هذا الرجل زعيم قادر على استثارة الرأى العام .

● وفى شهر أبريل سنة ١٩١٨ كان الحاكم العام قد دعا إلى عقد مؤتمر طلب فيه من غاندى إلقاء خطاب وتعمد غاندى أن يلقى خطابة باللغة الهندية وليست بالانجليزية وفيه وافق على تطوع الهنود فى الجيش البريطانى بأعداد مهولة فكرهه الهنود .

الفصل الخامس
مذبحة مدينة أمرتسار Aritsar

- هي مدينة من مدن البنجاب التى ظلت حركتها السلمية مثالاً رائعاً إلى أن اعتقلت سلطاتها زعيما المدينة أحدهما مسلم والآخر هندوسي يوم ١٠ أبريل سنة ١٩١٩ .

- وفى يوم ١٣ أبريل اجتمعت الألوف من الهنود فى فناء مهجور يحيط به سور عال فذهب حاكم البلدة الجنرال « دير » وبدون انتظار للاستماع إلى خطبة أحدهم أمر الجنرال السيارات الحربية التى تحمل خمسين جنديا من حملة البنادق الإحاطة بهذه المظاهرة اعتقادا منه أنهم مصممون على إخراج الزعيمين المعتقلين بالقوة وأمر بالضرب فورا واستمر إطلاق النار لمدة عشر دقائق ثبت بعدها أن من مات من الهنود لا يقل عددهم عن أربعمائة شخص وجرح أكثر من ألف .

• ولم تكن هذه المذبحة الدموية اللا إنسانية فقط هي ما فعله الجنرال « دير » في أمرتسار فتصادف أن بعض الهنود اعتدوا بالضرب المبرح على ناظرة مدرسة إنجليزية في أحد شوارع هذه المدينة فأمر بأن كل من يسكن هذا الشارع أو يريد المرور منه رجلاً أو شيخاً أو طفلاً لابد أن يسير على أربع حتى يصل إلى منزله فكان هذا الإذلال أشد وأقصى من اطلاق الرصاص وكان له ردود أفعال عنيفة ضد الانجليز أنفسهم .

• وكان رد الفعل من جانب غاندى أن أعاد إلى الحكومة وسام قيصر الهند الذى كانت قد منحته إياه سنة ١٩١٥ كما قام الشاعر العظيم رابندرنات تاجور بالتنازل عن لقب « سير » الذى كان قد منحه أيضا .

• وفى إقليم البنجاب كان الناس الذين يستقبلون غاندى بالهتافات التى شقت أصواتها عنان السماء وكانوا آلافا مؤلفة وهناك اجتمع « بموتيلال نهرو » والد « جواهر لال نهرو » واشترك معه فى تحقيق مستقل عن مذبحة أمرتسار

وزاروا المناطق مسرح الجريمة وجمعوا التبرعات للأسر المنكوبة وحملوا الحكومة مسئولية المذبحة وعهد المؤتمر إلى غاندى بوضع دستور .

- ثم عندما جاءته دعوة لحضور مؤتمر اسلامى فى دلهى تركهم واسرع إليها حيث وصلها فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ وكانت الهدنة قد تم توقيعها فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ وانتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا . وقد حضر هذا المؤتمر أيضا الكثير من الهندوس لأن انجلترا كانت قد رتبت أمورها على انتزاع ممتلكات الامبراطورية العثمانية وأن السلطان والخليفة الاسلامى فى نفس الوقت كان مهدداً بالعزل وفعلاً عندما تولى كمال أتاتورك شئون الدولة ألغى الخلافة سنة ١٩٢٤ .

الفصل السادس

عدم التعاون

- كانت فكرة بعض المسيطرين على هذا المؤتمر أن يقاطعوا المنسوجات البريطانية وكانت المشكلة صعوبة التنفيذ لعاملين الأول عدم قدرة المنسوجات الهندية على الاكتفاء الذاتى والثانى عدم امكان القدرة على التمييز بين المنسوجات الانجليزية وغيرها من المنسوجات الأجنبية .

- أخذ غاندى يفكر حتى اهتدى إلى فكرة « عدم التعاون » وليس مجرد المقاطعة ومعنى ذلك أن يقاطع الشعب المحاكم والمدارس والأعمال والوظائف الإنجليزية . وهذه دعوة هادفة لكنها تميت العدو وتضرب فى الصميم وفى نفس الوقت تعويد على الحكم الذاتى .

- كان انضمام المسلمين لغاندى يعتبر نصراً كبيرا له .

● وأثناء انعقاد لجنة المؤتمر عن ولاية جوجارات قدم غاندى قرارا يقضى باتباع سياسة « عدم التعاون » مع بريطانيا ووافق المؤتمر بأغلبية كبيرة وكتب غاندى مقالات عديدة فى مختلف الصحف تدعو إلى هذه المقاطعة وتتحدى السلطة بكل مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما طالب غاندى بعدم دفع الضرائب على أن تكون الحركة ذات طابع سلمى ولكن للأسف فإن هذه الحركة بدأت تتخلى عن مبادىء غاندى فاشعلت النار فى إحدى مراكز البوليس حيث مات اثنان وعشرون جنديا مما دفع الحكومة إلى اعتقال آلاف من متطوعى المؤتمر .

● تألم غاندى وأسف لما حدث لخروج حركة المقاومة عن مضمونها السلمى وأعلن بكل صراحة أن العنف أسلوب خاطىء لأنه سيقابل بعنف أقوى وأكثر وليس هذا فقط بل أن غاندى ينظر إلى استخدام أسلوب العنف كمظهر من مظاهر الضعف وليس إحدى مظاهر القوة .

• ولكن الحكومة لجأت إلى القبض على غاندى يوم ١٩٢٢/٣/١٠ بإعتباره العقل المدبر لهذه الحركة وبدأت محاكمته أمام أحد القضاة الانجليز يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٢ ولما طلب منه القاضى بعد أن سرد له التهم الموجهة إليه أن يدافع عن نفسه فرفض الدفاع رفضاً باتاً ورد على القاضى بأنه فعلاً يعترف بجميع هذه التهم وكل ما ردده فى ساحة المحكمة طعناً فى الآنجليز الذين لا يريدون أن يعترفوا بأن الهنود أناس لهم آدميتهم وأن هدف بريطانيا من حكمها الهند هو استغلال شعوبها وأراضيها وثرواتها وليس العمل على مساعدتها على التقدم كما تدعى دائما وحكمت المحكمة على غاندى بست سنوات سجن ومما هو جدير بالذكر أن غاندى تلقى هذا الخبر داخل المحكمة وقد ظهرت على أساريره كل ألوان السعادة والإبتهاج ثم ما لبث أن وجه نظره إلى الجماهير المحتشدة فى قاعة المحكمة قائلاً لهم ابتعدوا عن العنف في كل مطالبكم .

الفصل السابع
مع نائب الملك

- كان اللورد ريدنج نائب الملك الجديد وهو يهودى كان سفيرا لأنجلترا فى الولايات المتحدة قبل أن يصل إلى منصب نائب الملك فى الهند وقبل أن يصل إلى الهند سمع عن شخصية غاندى وعرف أنه دكتاتور المؤتمر وقد سبقته شهرته الروحية والخلقية إلى أسماع نائب الملك الذى استدعاه بمجرد وصوله إلى الهند فقبل غاندى الدعوة مما جعل بعض أنصار غاندى ينقمون عليه بإعتباره بدأ يهدم مبدأ عدم التعاون الذى دعا إليه .

- وكتب اللورد إلى ابنه بعد ذلك يعرفه أنه اجتمع بغاندى ستة اجتماعات استمرت أكثر من ثلاث عشرة ساعة وبهذا أتيحت له فرصة كبيرة للوقوف على أدق خصائصه وأبرز صفاته وقد حضر هذه الاجتماعات وعلى رأسه غطاء

منسوج باليد وهو عارى الساقين حافى القدمين ولكن مجرد أن تحدث وجدت عقلا راجحاً يزن كل كلمة قبل أن ينطق بها ويتحدث بلغة إنجليزية ممتازة وهو رجل مستقيم أهدافه واضحة ليس فيها إلتواء وهو غير متردد وهو يعتقد اعتقادا يشبه الجزم أن عدم العنف والمحبة قادران وحدهما على منح الهند استقلالها وبذلك. يقهر الامبراطورية البريطانية فى أعظم مناطق نفوذها فى العالم كله ولما حاول نائب الملك أن يستشف أفكاره رد عليه غاندى ببساطة قائلاً له : إن سياستنا تقوم على أساس دينى صرف وحركتنا دينية فى واقعها هدف تطهير الهند من الغش والرشاوى والإرهاب والخضوع والخنوع لرق المدنية الأوربية أما جلاء انجلترا عن الهند فسيأتى عرضاً نتيجة لهذا التطهير ولذلك اخترنا سبيلنا معكم وهو « عدم التعاون » فى غير ما عنف . وهذا ما لم يستطيع أن يدرك مكنونه نائب الملك ولا حتى الكثير من الهنود أنفسهم ، ولكن رغم ذلك فكان الجميع يحبون غاندى وعلى أتم استعداد للسير فى ركابه وتنفيذ ما يراه وطالبوا غاندى

« بحركة عصيان » وليس بمجرد عدم التعاون فاشترط عليهم غاندى أن يبدأوا حركة العصيان بولاية واحدة فقط وليس بالهند كلها حتى تدرك انجلترا أى عداوة يمكن أن تتأصل فى نفسية هذا الشعب المسالم وأن هذه الحركة سوف تمتد تدريجيا إلى بقية الولايات فتضطر انجلترا إلى مراجعة أسلوبها فى الحكم وتجبر على إعطاء الهند قسطاً من الاستقلال ولكن للأسف فإن يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٢ حدثت مشكلة فى « شاورى شاورا » على مسافة ٨٠٠ كم بين باردولى التى كان غاندى موجوداً بها فى هذا الوقت فاقترفوا جريمة قتل لرجل انجليزى فأطلقت الشرطة عليهم نيرانها المكثفة وعندما إنتهت ذخيرتهم لاذوا بأحد المبانى الحكومة فاشعلت الجماهير فيها النيران ولكن استطاع الجنود أن يتحاشوا النيران فقابلهم الثوار وقطعوا أجسادهم قطعاً صغيرة وألقوا بها فى النيران هذه الأشلاء من أجساد الجنود البريطانيين .

• ولما علم غاندى بما تم اكتنفته موجة من الحزن والكآبة وكان رد غاندى إنه لا يوجد مبرر واحد فى العالم كله يتيح للهنود أن يستخدموا أبشع انواع العنف مع جنود أصبحوا عزلاً من السلاح واضطر غاندى كرد فعل لهذا العنف غير المرغوب أن أصدر قراره بوقف أى مسيرة وصام خمسة أيام تكفيراً عن هذه الجريمة .

الفصل الثامن
غاندى فى السجن

● اصبحت لندن تغلى مطالبة بمحاكمة غاندى ولكن نائب الملك لم يكن موافقاً ولكن الظروف كانت أقوى منه لأن بعض الحكام الانجليز لمختلف الولايات طالبوا نائب الملك بمحاكمته ولا سيما أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى كان قد تقدم باستجواب إلى الحكومة عن مقتل الجنود الانجليز وماذا فعلت الحكومة فى الهند مما دفع ريدنج إلى الاستجابة وأمر باعتقال غاندى فى العاشرة مساء يوم ١٠ مارس سنة ١٩٢٢ وسار غاندى والبشر يطفح على وجهه إلى السجن واعتقد النائب أن حياة غاندى السياسية قد انتهت إلى الأبد لأنه منع المسيرات ولم يصحب اعتقال غاندى أى رد فعل من قبل الجماهير وعلق غاندى على ذلك قائلاً إنه يحزننى أن يفقد الشعب وعيه واتزانه وهدوءه بسبب اعتقالى .

محاكمة غاندى

• ومن الطريف حقاً أن القاضى عندما سأل غاندى عن عمله أن رد عليه بكل تواضع « فلاح وغزّال » .

• ترافع النائب العام متهما غاندى بمحاولة قلب نظام الحكم فسأل القاضى غاندى ما رأيك فيما يقرره النائب العام ؟ .

• رد عليه غاندى إنه رجل عظيم ومنصف كل الانصاف ولا يمكن أن أخفى على المحكمة أن قلب نظام الحكم أصبح ميلاً غريزيا عندى يسرى فى دمائى ولا اطلب أى لون من الرأفة وإننى مستعد أن أتحمل بكل سعادة وسرور أقصى عقوبة وليس أمامك أيها القاضى إلا شيء واحد إما أن تعتزل أو تحكم بأقصى عقوبة يقررها القانون فى هذا الشأن إذا كنت تصدق ضميرك أن الحكم الحالى هو فى مصلحة شعب الهند وقال له إننى بذلت كل ما فى وسعى

فى سبيل إقناع انجلترا بأن جريمتها فى الهند هى أبشع جريمة أرتكبت فى حق الإنسانية جمعاء وأننى لا أحمل أى بغض أو عداء للأنجليز وللملك ولكنى أكره أساليب الحكومة الملتوية وأعتقد أنها تمثل الشر والفساد بكل معانيه ولذلك فإننى أنادى بمبدأ « عدم التعاون » معها .

القاضى ينظر إلى غاندى بكل احترام

- قال القاضى : إن الحكم فى هذه القضية هو أحرج واجب ألقى على شخصى فالقانون لا يعرف الأشخاص ولكن يستحيل مع ذلك أن أتجاهل أن هذا الرجل العظيم غاندى طراز فريد من الناس لم يسبق لى أن رأيت متهماً ولن يقدر لى أن يقف أمامى متهم بمثل الروعة الوطنية وإننى أرى فيك مثلاً لحياة القداسة والنبالة والخلق الرفيع وإننى أسف كل الأسف أن أحكم عليك بست سنوات سجن علماً بأن من حق الحكومة أن تخفض العقوبة ووقتها سوف أكون أسعد إنسان .

• وقف غاندى ليرد على القاضى بأن الحكم كان مخففاً جداً وأنه يدل على مجاملة وانحنى كل من فى القاعة من الهنود على أقدام غاندى وأجهش بعضهم بالبكاء وظل غاندى مبتسماً وهو فى طريقه من المحكمة إلى السجن .

غاندى فى المستشفى

• نقل غاندى يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٤ إلى المستشفى لإجراء عملية الأعور « الزائدة الدودية » .

• أصدرت الحكومة قرارها يوم ٥ فبراير سنة ١٩٢٤ بإطلاق سراح غاندى فورا .

• لم يكن غاندى سعيدا بهذا الافراج لأن فكرته كانت محصورة فى أن بقائه بالسجن أو موته به (وهذا ما دفع الحكومة إلى إطلاق سراحه) سيكون حافزا للهند كلها للمطالبة بالاستقلال والاستمرارية فى ذلك حتى يكلل جهودها بالنصر :

الفصل التاسع

غاندى الأب

● أنجب غاندى « هاريلال » والأصغر « مانيلال » .

● كان غاندى يحب ابن عمه « ماجانلال » ويعتبره خليفته الروحي ويفضله حتى على ولديه فلما.مات سنة ١٩٢٨ حزن عليه حزنا عظيماً وقال « إننى قد ترملت بفقده أكثر مما ترملت زوجته » .

● كان لدى غاندى فى صومعته بعض الروبيات أخذها ابنه الأصغر وأعطاها هذا لأخيه الذى بدأ يشق طريقه فى الأعمال الحرة بكلكتا ووقع إيصال هاريلال فى يد غاندى .

● طرد غاندى ابنه الأصغر من الصومعة وأمره بأن يعمل فى سبيل قوته وأنه قرر الصوم تأديباً لولده العاق وبعد أن ظل

مانيلال يستعطف أباه ألا يصوم رجع غاندى عن قراره وأخذ مانيلال يعيش تحت أسم مستعار على مدى شهرين ثم أرسله غاندى إلى جنوب أفريقية ليشرف على تحرير صحيفة « صوت الهند » .

• أما الأبن الأكبر هاريلال فقد كان يسير طبقاً لأسلوب معيشه أبيه وما أن ماتت زوجته سنة ١٩١٨ حتى أبدى رغبته فى الزواج مرة ثانية فلما رفض أبوه ما كان من الشاب إلا أن إنحدر إلى بؤر الفساد والرذيلة وأخذ فى تعاطى الخمور وأسس شركة وهمية سنة ١٩٢٠ لتجميع الأموال للقيام بتنفيذ بعض المشروعات الاقتصادية وانخدع الناس لانه ابن المهاتما غاندى وجاءت له رسالة سنة ١٩٢٥ من محامى موكله وهو هندى مسلم أن أخذ أمواله وصرفها على ملذاته فما كان من غاندى الأب إلا أن نشر خطاب المحامى كاملاً فى جريدة « الهند الجديدة » فى يوم ١٨ يونية سنة ١٩٢٥ وتعليق غاندى إنه يتبرأ من هذا الولد .

الفصل العاشر

شرخ خطير . . . .فى حركة الهند

٥ تصدعت وحدة الصف بين الهنود والمسلمين لا سيما بعد أن قضى مصطفى كمال أتاتورك على الخلافة الإسلامية نهائيا سنة ١٩٢٤ .

٥ ويمكن أن نقول بكل تأكيد أن نظرية انجلترا التى يمكن أن نوجزها فى كلمتين فقط « فرق تسد » وجدت أذناً صاغية تماما لدى الهنود نتيجة لسريان مبدأ الشك فى نوايا كل طرف تجاه الآخر وترتب على هذا أن فشلت فكرة مقاطعة البضائع الأجنبية! .

٥ رأى غاندى أن مشكلة الهند ليست فى الاستعمار البريطانى بل ترجع فى حقيقة الأمر إلى ضعف الإيمان وضعف الخلق فاضطر إلى اعتزال السياسة بضع سنوات حتى تتطهر الهند

نفسياً وخلقياً مما يمهد لتطهيرها سياسياً من الاستعمار .
ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ إذا ظلت الهند كلها وحدة واحدة ولهذا فإن كل جهود غاندى كانت تتجه إلى منعطف واحد هو العمل على استمرار وحدة الهند وعدم السماح لأى فجوة فى العلاقة بين المسلمين والهندوس وقال إن فى مقدمة أسباب الشقاق هم الهندوس أنفسهم الذين يضايقهم ذبح البقر بأيدى المسلمين وقال غاندى إن كل شغب يتم بسبب ذبح البقر هو جهد باطل لم ينقذ بقرة واحدة فليس هناك فائدة من وراء هذا التصلب فى الموقف وقال إن معظم البقر باعه الهندوس للجزارين المسلمين ! .

- وفى سنة ١٩٢٤ رأى غاندى انفضاض الناس من حوله فبكى وكان عمره خمس وخمسون عاماً فى هذا الوقت وكان هزيلا متصدع الجسم والنفس .

الصوم العظيم

• وقرر أن يصوم إلا عن الماء فقط بدءاً من ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤ وتعمد أن يصوم فى بيت مولانا محمد على شقيق شوكت على وهو رجل مسلم لكى يوضح للناس فكرة وحدة الهند ولازمه طبيبان مسلمان بصفة مستمرة وقام القس أندروز وهو بريطانى الجنسية بمهمة تمريض غاندى واستمر المهاتما يملى المقالات والنداءات أثناء فترة صيامه طالباً من الله أن يلين القلوب الجافية إلى أن بلغ صيامه اليوم العشرين وكان وجهه يفيض سرورا وعند ظهر اليوم التالى أقام صلاة جامعة لكل الأديان فقام أحد أئمة المسلمين بالاستهلال بفاتحة القرآن الكريم وأعقبه القس أندروز الذى أنشد نشيداً مسيحياً عن الحب الالهى ثم رتل أحد الهندوس شيئا من كتابهم . ولما جاءت ساعة الافطار المنتظرة كان محمد على وشوكت على وأبو الكلام آزاد

وموتيلال نهرو وداس وغيرهم من قيادات الهند قد أخذوا مجلسهم على أرض الحجرة وقبل أن يمد يده إلى الطعام خاطبهم بصوت خفيض لشدة ضعفه بسبب الصوم الكبير طالباً منهم أن يقدموا حياتهم فداء للإخاء فجدد الزعماء المسلمين عهدهم له وبذلك إنتهى صوم غاندى الذى كان هدفه الوحدة والإخاء بين كل الهنود .

- وقرر غاندى فى نهاية ديسمبر سنة ١٩٢٥ ترك رياسة المؤتمر للسيدة ساروجين الشاعرة ووعد أن يصوم عن السياسة عاماً كاملاً يلزم فيه صومعته لا يغادرها ليريح جسمه وروحه كما دعا إلى إلغاء فكرة زواج الأطفال نهائياً كما دعا أيضا إلى عدم احتقار المنبوذين الذين يقومون بتنظيف دورات المياه والعمل فى أحقر المهن لأنهم إخوتنا فى الإنسانية وقد خلقنا الله جميعاً فلا داعى مطلقا لمثل هذه التفرقة وحارب فكرة النجاسة التى كان البراهمة مصممين عليها ولعل من أشهر العادات القاتلة فى الهند التى حاربها غاندى كانت تتضح عندما يموت الزوج يأتون بزوجته حيه لتحرق وهى حية مع جثة زوجها وكان هذا

فى نظرهم مظهراً من مظاهر التدين وقد كفوا عن ذلك ولكن أصبحت الأرامل مكروهة ولا يتزوجن إلى اليوم فى الهند إلا نادراً .

● كما حارب غاندى فكرة البغاء الدينى فإن الهندوكى المؤمن ينذر ابنته لخدمة المعبد فإذا بلغت سن الصبا حملها إلى المعبد فتصبح بغياً لرجال المعبد فإذا تجاوزت سن الشباب والجمال طردوها منه فتصبح بغياً لكل من يريد من عامة الناس وقال غاندى إني أفضل أن ينقرض النوع الإنسانى كله من العالم عن أن أراه أحط من الحيوانات .

● وبعد ذلك ما لبث غاندى بين الحين والحين يدعو إلى البعد كل البعد عن النواحى المظهرية ودعا الهنود إلى إرتداء الزى الوطنى الذى يجب أن يكون فى منزل كل هندى مغزل صغير يدوى وضرب هو أوضح وأقوى الأمثلة على ذلك من خلال إرتداء إزارا هنديا بسيطا حول وسطه .

فكرة المغزل اليدوى

- دعا غاندى إلى الاستقلال الاقتصادى من خلال إتخاذ المغزل وتفصيل القماش الهندى على الأقمشة المستوردة وهذه الدعوة تحمل فى طياتها اعتراضاً على الصناعة البريطانية وإنتهت إلى نتيجتها المنطقية وهى مقاطعة البضائع الانجليزية وإحراقها أحيانا ويهدف غاندى من وراء هذه الدعوة إلى أن يخفض الفاقة عن الهنود ويعمل على خلق كرامة إقتصادية ترفع رءوسهم .

- وفى سنة ١٩٣٠ أدركت الحكومة البريطانية مبلغ خطورة المغزل اليدوى الهندى الذى اشتهر وأصبح فى كل منزل على الصناعة البريطانية فقد هبطت الواردات بمقدار الثلث تقريبا وهكذا ظهر جلياً للحكومة البريطانية أن أسلوب غاندى فى المقاومة ــ رغم بساطة مظهره ــ فهو أشد وأقسى وأنكى مما كانت تتصور بريطانيا .

المؤتمر الهندى وموقف غاندى

- وجه المؤتمر الهندى المنعقد في كلكتا فى سنة ١٩٢٨ إنذاراً للحكومة البريطانية بضرورة العمل على منح الهند مرتبة الدومينون فى موعد نهايته آخر سنة ١٩٢٩ وإلا فإن المؤتمر يصبح فى حل من إتخاذ كل مظاهر الصراع ضد الحكومة حتى يحصل على الاستقلال التام .

- ولما لم تستمع الحكومة لإنذار المؤتمر فبعد منتصف ليلة ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ أعلن المؤتمر استقلال الهند أرادت انجلترا أم لم ترد .

- وفى يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٠ تقدم غاندى إلى الحاكم العام البريطانى فى الهند بعرض من مجموعة نقاط لعل من أهمها :

- (أ) خفض الضريبة السنوية المقررة على الأرض الزراعية .

- (ب) إلغاء ضريبة الملح .
- (جـ) إنقاص النفقات العسكرية والمدنية .
- (د) إطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين .
- (هـ) فرض ضرائب باهظة على كل أنواع المنسوجات المستوردة .

الفصل الحادى عشر

مسيرة الملح

- قال غاندى كلمته الرائدة موجهاً حديثه إلى الهنود جميعهم « إن الخضوع للحكم البريطانى يشكل جريمة ضد الله والإنسانية » .
- وأعلن أنه سيقود مسيرة تمثل أول حركة عصيان سلمية بإصطحاب جماعة من مؤيدية للعمل على إلغاء قانون الملح .
- ومن ثم فقد أرسل مع شاب إنجليزى من محبيه يدعى رجنالد رينولدز رسالة إلى الحاكم العام يقول فيها « اعلم يا سيدى الحاكم أن الحكم البريطانى كان لعنة على الهند لدرجة أن الفقراء أصبحوا عاجزين عن شراء ما يحتاجون إليه وما تحتاجه مواشيهم بسبب ارتفاع الضريبة المفروضة

على انتاج الملح لصالح بعض التجار الانجليز وطالب الحاكم برفع هذه المظالم والا خرج فى ١١ مارس بمسيرة يمكن أن تعرض أمن الدولة للخطر .

- ولما أهملت الحكومة إنذار غاندى ولم تعره التفاتا قام غاندى يوم ١٢ مارس سنة ١٩٣٠ ومعه تسع وسبعون فرداً ومشوا على أقدامهم إلى أن وصلوا إلى مدينة داندى Dandy التى تقع على شاطىء بحر العرب واستغرقت المسافة سيرهم بضع أسابيع حيث قطعوا المسافة وقدرها ثلثمائة وعشرين كيلو مترا ويستريحون كل يوم اثنين وذلك بهدف محدد وهو إعدام الملح .
- وسرعان ما انتشر خبر هذه المسيرة فى كل أرجاء الهند وصمم الهنود على إنتاج الملح بأنفسهم .
- وكان أول قرار يختص بضرورة الاستيلاء على مستودعات الملح بمدينة دارسانا Dharsana .
- وعندما ظهر للحكومة خطر هذه الحركة لما تحمله فى طياتها

من انتصار الهنود سلمياً على الانجليز ومحاولة تحسين اقتصادهم قبضت على غاندى يوم ٥ مايو سنة ١٩٣٠ .

- ولكن هذا لم يمنع تنفيذ مآرب غاندى فقد قام أحد أتباعه وهو « إمام صاحب » بالاستيلاء على مستودعات الملح وتوزيعه على الهنود .
- وكان رد فعل انجلترا واضحاً من حديث ونستون تشرشل الذى أعلن فى البرلمان الانجليزى أن الانجليز سوف يظلون سادة الهند إلى الأبد .
- واضطرت الحكومة إلى اطلاق سراح غاندى يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٣١ .

الفصل الثانى عشر

اللورد أروين الحاكم العام الجديد

• قامت انجلترا بتعين اللورد أروين هاليفاكس وشاء حظ غاندى الرائع أن هذا الرجل مشهود بتدينه الشديد وتدين والده إلى أقصى حد فكان اختيار هذا الرجل التقى كي يكون قطبا ملائما لقطب الوطنية القديس المهاتما غاندى .

• وبعد عشرين شهراً دعا نائب الملك يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٧ غاندى للتباحث معه وبرفقته باتل رئيس الجمعية التشريعية ورئيس المؤتمر الوطنى فى هذا العام ورئيسه فى العام السابق .

• ولما جلسوا قدم نائب الملك ورقة تقول بأن هناك لجنة تحقيق بريطانية رسمية لبحث مطالب الهند ومتاعبها واقتراح ما يراه هؤلاء من اصلاحات سياسية .

- فسأله غاندى أهذا هو كل موضوع المقابلة فلما رد عليه نائب الملك بالإيجاب انسحب غاندى فى هدوء وبالطبع عرف غاندى أن هذه اللجنة ليس بها رجل واحد هندى وهى التى ستحدد مصير الهند فنبتت فكرة هذه اللجنة .
- حضرت اللجنة يوم ٣ فبراير سنة ١٩٢٨ برئاسة جون سيمون وعندما نزلت أرض بومباى استقبلت بالرايات السوداء ولا فتات كتب عليها بالانجليزية « عد من حيث أتيت يا سيمون » .
- وهكذا ثارت الهند لكرامتها وكرامة المهاتما غاندى .
- ثم بدأت المباحثات بين غاندى وبين اللورد إيروين حاكم الهند ونائب ملك إنجلترا وكان الاتفاق على النقاط الآتية :
- (أ) إيقاف حركة العصيان المدنى .
- (ب) اطلاق سراح المسجونين السياسيين .
- (جـ) تحديد ضمانات لإسهام الهنود فى الدفاع والشئون الخارجية والمالية ولكن لما كان هذا الإتفاق لم يشر من

قريب أو بعيد إلى فكرة استقلال الهند اعترض على هذا الاتفاق .

- أدخل غاندى إلى السجن مرة أخرى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣١ وفرضت الحكومة حظراً تاماً عل نشاط المؤتمر .
- يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٣٢ أتخذ غاندى قرار الصيام حتى الموت احتجاجاً على تخصيص دوائر انتخابية للمنبوذين! لأن غاندى سبق أن قال مرارا أن المساواة أمر حتمى بين جميع الهنود مهما اختلفوا فى العنصر الدينى او طبقة المجتمع .
- وسرعان ما خشيت الحكومة إن مات غاندى داخل السجن تحدث مشاكل لا قبل لها بها كرد فعل لملايين الهنود الذين يتبعون غاندى فاضطرت إلى إصدار قرار بالإفراج عنه فوراً .

« تصدع الجبهة الهندية »

● عقب الحرب العالمية الأولى تحققت الوحدة بين الهندوس والمسلمين فى أجمل صورها وأبدعها وكل ما كان يحلم به غاندى أن يعمل كل ما يمكنه للحفاظ على هذه الوحدة .

● وبعد هذا بفترة طويلة تكونت رابطة اسلامية بزعامة « محمد على جناح » .

● سنة ١٩٣٨ دعا غاندى « محمد على نجاح » إلى منزله خشية إنقسام الهند إلى دولتين .

● أما محمد على جناح فقد اشترط أن يكون هناك نصاً يعقد بين المؤتمر الهندى والرابطة الإسلامية وواضح من هدفه أنه يصمم على تقسيم الهند إلى دولتين مع تغير علم الهند نتيجة لذلك .

- وعندما حانت سنة ١٩٣٩ ويئس غاندى من فكرة بقاء الهند دولة واحدة اضطر إلى التصريح بأنه ليس فى طاقة بشر حل المشكلة بين الهندوس والمسلمين .

- ولما حلت سنة ١٩٤٠ طالب محمد على جناح بحق تقرير المصير للمسلمين .

الفصل الثالث عشر

استقلال الهند

- رفض غاندى كما رفض المؤتمر الهندى أن تدخل الهند ضد ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية التى اشتعلت أوراها فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ قبل تحقيق أمانى الهند فى الاستقلال وإلا أعلن المؤتمر العصيان مما دفع الحكومة إلى إلقاء القبض على القائمين على المؤتمر .

- ولكن حدث أن اليابان – التى كانت تشكل إحدى دول المحور فى الحرب العالمية الثانية والذى يتكون من إيطاليا وألمانيا واليابان ـــ اجتاحت بورما وأندونيسا وهددت الهند فاضطرت انجلترا إلى مراضاة الهند فأعلنت فى ٢٢ فبراير سنه ١٩٤٢ :

- (أ) تقوم حكومة بريطانيا بمنح الهند فى أقرب فرصة مرتبة الدومينون مما يتيح لها حق الانفصال عن الامبراطورية البريطانية .

- (ب) فور انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء تتشكل فورا جمعية دستورية من الهنود تضع دستورا للهند تلتزم به بريطانيا .
- (جـ) تقوم انجلترا بالدفاع عن الهند .
- ولكن غاندى لم يعجبه هذا الإعلان لسبب بسيط أن لن يرضى عن الاستقلال بديلاً لا سيما وأنه علم أن بريطانيا تريد تفيتت الهند فطالب غاندى برحيل الانجليز عن الهند فوراً لأن فى رحيلهم سيبعد نظر اليابان إلى التطلع إلى الهند لغزوها .
- واجتمع المؤتمر فى بومباى فى ٨ أغسطس سنة ١٩٤٢ واتخذ قراره التاريخى بأن تعلن بريطانيا استقلال الهند التام على أن يعهد بأمر ذلك إلى حركة اتخذت لها شعاراً « ارحلوا عن الهند » على أن يسودها مبدأ عدم العنف وأن تأتمر بأوامر غاندى .
- قال غاندى وهو يخطب في المؤتمر « إما الاستقلال الوطنى وإما الموت » .
- قرر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا إلقاء القبض على غاندى

تم ذلك يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٢ وعلى انصاره ووضعهم فى السجون والمعتقلات .

- وكان رد فعل الجماهير غضبة كبرى تمثلت فى تحطيم كل ما يقابلها من مبانى أو منشأت وتدميره حرقاً .
- زاد بالمقابل رد الفعل من جانب الحكومة فزادت الحكومة من عمليات الإرهاب ضد الجماهير وامتلأت السجون والمعتقلات بالوطنيين حتى فاضت .
- حزن غاندى جداً عندما علم أن الجماهير انحرفت عن مبادىء الساتياجراها .
- حدد غاندى موعداً لصومه لمدة ثلاثة أسابيع تبدأ يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٤٣ فساءت صحته جداً فى اليوم الثالث من الصيام وكانت الحكومة تنتظر موته بفارغ الصبر .
- بعث روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكية بمبعوث خاص لمقابلة غاندى بعدما وصله من اضطراب الأحوال فى الهند ولكن الحكومة منعت المندوب من مقابلته .
- شاءت إرادة الله أن تنتقل زوجته إلى الرفيق الأعلى فى ٢٢فبراير سنة ١٩٤٤ وسمح لأولادها وبعض أقاربها فقط

حضور حرق الجثة بقصر أغاخان المعتقل فيه غاندى . كان موت زوجته ضربة قاضية زلزلت كيان غاندى .

● وقع غاندى بعدها صريعاً للملاريا وفقر الدم وساءت صحته جدا فاضطرت الحكومة إلى إطلاق سراحه خوفاً من موته داخل السجن فلا يعرف كيف يمكن ان تتطور الأمور فى الهند بعد ذلك .

● فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٤ أرسل غاندى رسالة إلى نائب الملك الجديد لورد ويفل قال فيها « لو أعلنت الحكومة استقلال الهند التام وتولت حكومة وطنية مسئولية التشريع المركزى فإن غاندى على أتم استعداد لنصح المؤتمر بتقديم كل أنواع المساعدة للمجهود الحربى » .

● رد الحاكم على رسالته قائلاً إن حكومته لا يمكنها تجاهل الأقليات الدينية والعنصرية فى الهند وبهذا وضح لغاندى سياسة انجلترا « فرق تسد » .

● كان غاندى يرفض فكرة تكوين دولتين لأنه يعلم جيدا أن مسلمى الهند أصلاً من الهندوس .

● انتهت الحرب العالمية الثانية فى مايو سنة ١٩٤٥ بإنتصار

دول الحلفاء على دول المحور فقام تشرشل بإجراء انتخابات فاز فيها حزب العمال على حزب المحافظين .

- ويوم ١٤ يونية سن ١٩٤٥ أعلن حاكم عام الهند ما يأتى :
- (أ) الموافقة على صياغة شكل الإدارة للهنود أنفسهم دون ضغط من انجلترا .
- (ب) بإستثناء الحاكم العام « نائب ملك انجلترا » تترك جميع المناصب للهنود على أن يتساوى ممثلو المسلمين والهندوس من ناحية العدد .
- (جـ) يقوم الحاكم العام بتوجيه الدعوة لزعماء الأحزاب المختلفة لتقديم مقترحات محددة لتحقيق الأهداف السابقة .
- أطلقت الحكومة بعدها سراح جميع المسجونين السياسيين وعقد الحاكم العام مؤتمراً حضره واحد وعشرون زعيما فى سيملا Simala ولاحظ المؤتمر أن بيان الحكومة خلا من « كلمة الاستقلال » .
- صممت الرابطة الإسلامية بزعامة محمد على جناح على تقسيم الهند إلى دولتين .

- في مارس سنة ١٩٤٦ صرح المستر اتلى رئيس الوزراء فى البرلمان البريطانى بأن من حق الهند أن تكيف وضعها الدستوري طبقاً لرغبتها وأن فى وسعها أن تظل دومينون أو تختار الاستقلال التام مع مراعاة حقوق الأقليات .
- خرجت انجلترا من الهند وبعدها بدأت المشاكل التى تمثلت فى تكوين حكومة انتقالية والبحث عن وسيلة لعمل دستور يرضى جميع طوائف الشعب .
- أما عن وجهة نظر غاندى فيجب أن تظل الهند دولة واحدة قوية علمانية تجمع الهندوس والمسلمين والسيخ والمنبوذين وترتفع بمستواهم جميعاً دون تفرقة مادية أو اجتماعية أو دينية .
- أما عن وجهة نظر محمد على جناح فلابد من تكوين دولة إسلامية وفعلاً أنشأ دولة باكستان من ولايات البنغال وآسام وبنجاب والحدود الشمالية الغربية للهند والسند وبلوخستان .
- استمرت اجتماعات كل من الهندوس والمسلمين وكان في الإمكان حدوث حرب أهلية .

● غادر البريطانيون الهند وتكونت دولتا الهند وباكستان فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ وحاول غاندى تهدئة الموقف ولكن الدماء سالت فى كل مكان .

الفصل الرابع عشر

نهاية غاندى

- تناول غاندى آخر وجبة طعام فى حياته فى منتصف الخامسة مساء وكانت تتكون من لبن الماعز والخضار المسلوق وبعض عصير البرتقال والخضروات وهو جالس على الأرض فى قصر بيزلا فى دلهى الجديدة .

- وعندما رأى الساعة وعرف الوقت نهض المهاتما متجهاً إلى المكان المعد للصلاة على يسار القصر وكانت آبا زوجة حفيد ابن عم غاندى « مانو » حفيدة ابن عم آخر لغاندى تصحبانه وقد اتكأ بذراعيه على كتفيهما كما اعتاد على ذلك من قبل .

- لما وصل مكان الصلاة تأسف لفتاتيه أنه تأخر عشر دقائق عن موعد الصلاة وانحنى له الكثيرون الذين كان قد بلغ عددهم حولى ٥٠٠ فرد تحية له وأفسح له البعض طريقه .

- ثم ما لبث أن ظهر رجل يبدو عليه أنه على وشك أن يركع

أمام المهاتما كأسلوب أهل الهند فى التحية وحاولت « مانو » أن تمنعه وأمسكت بيده فدفعها بكل قوته فارتمت على الأرض وعلى مسافة قدمين فقط من المهاتما أطلق عليه هذا الرجل ثلاثة رصاصات على الشيخ القديس الذى كان كل هدفه أن لا يفوته موعد الصلاة ونطق غاندى بصوته الضعيف : يا إلهى! وسقط على الأرض ووقعت نظارته عن عينيه وفارق نعلاه قدميه وكانت عيناه مغمضيتن نصف اغماضه ومن هول الصدمة مرت عشر دقائق دون أن يفكروا فى كيفية إنقاذه إلى أن أسرع أحد الحضور وأحضر طبيبا قرر ان ما من قوة على الأرض تستطيع أن تعيد له الحياة لأن روحه فارقت جسده منذ عشر دقائق وكان هذا يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ .

- وجلس أحباء غاندى ومريدوه من الشباب يبكون وهرع إلى جثمانه جواهر لال نهرو ومرغ وجهه فى ثوبه الدامى وبكى بكاء مراً .

- ثم جاء ديفاداس أصغر أبناء غاندى وتحسس جسد أبيه الذى كان لا يزال دافئاً .

- تقاطرت الهيئات السياسية وجموع الشعب التى جاءت

تطالب بإلقاء نظرة أخيرة على المهاتما .

- رفعوا الجسد إلى سطح القصر بحيث يبدو كأنه مضطجع وتم تسليط كشاف قوى من الضوء ومرت الألوف حوله تذرف دموعاً ساخنة .

- ولما أرخى الليل سدوله أنزلوه إلى حجرته وجلس البعض يتلو الصلوات والبعض يبكى .

- وقت الفجر حلت أصعب لحظة وأكثرها إيلاماً للنفس البشرية فقد نزعوا الثوب الأبيض عن جثته فسقط على الأرض إحدى فوارغ هذه الرصاصة القاتلة التى صرعت أكبر زعيم فى العالم يكافح الاستعمار بأسلوب هادىء سامى بعيدا كل البعد عن العنف والقوة .

- أصر ديفاداس ابنه على عدم تحنيط الجثة لأن هذا يخالف كل المخالفة معتقدات الهندوس .

- غسل جثمانه ولفوا قلادة قطنية حول رقبته ثم غطوا بالأزهار والورد الملاءة التي كانت تستره ولا تكشف إلا عن رأسه وذراعيه وصدره .

- فلما أنبلج الصباح تم رفع الجثة إلى السطح مرة أخرى حتى تراه الجموع الغفيرة .
- ثم لف النعش فى علم الهند المستقلة وبدأت الجنازة الرهيبة التى كان طولها ميلين كاملين وقد حمل النعش على عربة حربية يجرها مئتان من الجيش والبحرية والسلاح الهندى والشرطة .
- وصلت الجنازة نهر « جوما » فى الرابعة والثلث بعد الظهر لسيرها الشديد البطء فقد بلغ عدد المشيعين مليون ونصف غير مليون من الواقفين فى انتظار الجثمان على حافة نهر جوما .
- بكاه الهندوس والمسلمون والسيخ والمنبوذين .
- وضعت محرقة جديدة ترتفع قدمين عن الأرض وفوقها كتل من خشب الصندل المخلوط بالعود والبخور النادر .
- وضع غاندى رأسه إلى المشرق وقدماه إلى الجنوب وفى تمام الخامسة إلا الربع مساءً أشعل النار راماداس غاندى (ابن غاندى الثالث) محرقة أبيه الجنائزية فاندلعت النيران فى الأخشاب الجافة وبكى كل الناس .

● صار غاندى إلى رماد بعد أن ظلت النار مشتعلة أربع عشرة ساعة وفى نفس الوقت لم تنقطع الأناشيد الدينية حتى تمت كل أناشيد الجيتا .

● ولما انقضى سبع وعشرون ساعة وبردت المحرقة تجمع محبوه وكبار رجال الدولة وجمعوا رماده ووضعوه فى كيس قطن من مغزل يدوى .

● وبين الرماد وجدوا رصاصة ثانية كانت مستقرة فى جسد الزعيم أما العظام فوضعت فى إناء من الشبه ووضع رامداس غاندى باقة من الزهور العطرة حول فوهة الإناء وحمله فى سلة خاصة فوق صدره إلى قصر بيرلا .

● أما رماده الكريم فقد تم توزيعه على كل أنحاء الهند وفى مجرى النهر وضعت القدر فى قارب لونه أبيض وتم افراغ محتويات القدر فى وسط النهر وانتشرت عظام المهاتما فوق الماء ثم جرفها التيار إلى المحيط .

● ونعاه إلى الأمة جواهر لال نهرو رئيس الوزراء فذهب إلى الإذاعة بعد موته بلحظات وخاطب العالم كله قائلاً لقد خبا الضياء من حياتنا وتلك لعمرى كارثة مزلزلة لكل

إنسان من ملايين هذه الأمة ولكننى أعود فاقول إن ألف سنة مقبلة ستنقضى وهذا النور سيظل يغمر بلادنا .

● قال ماك آرثر قاهر اليابان « لا خلاص فى العالم إلا أتباع مبادىء المهاتما فى عدم العدوان » .

الباب الربع

غاندى فى الميزان

- ما من شك أن كل صفات الزعامة النبيلة كانت متبلورة فى شخصية غاندى هذا الرجل الفقير بل الذى أصبح لا يملك من حطام الدنيا شيئا هذا الإنسان الذى كان يسير حافى القدمين حاسر الرأس وعلى جسده إزار أبيض بسيط منسوج ا .

- عندما ذهب إلى جنوب أفريقية ليدافع فى قضية كبيرة عن أحد الهنود فكثيرا ما كان يضرب ويهان ويبصق على وجهه وينزلونه من الدرجة الأولى فى القطار ليركب الدرجة الثالثة ولكنه كان يسير على مبدأ ليو تولستوى وهو ألا يقاوم الشر بالشر وأدى به شغفه بتولستوى إلى دراسة المسيحية فأحبها .

- غاندى لم يحارب الاستعمار فقط بل حارب أيضا استبداد الهنود بعضهم ببعض .

● كان برنامجه الداخلى لإصلاح الهند من الداخل يتركز فى خمسة نقاط :

● ١ – مساواة المنبوذين بغيرهم .

● ٢ – منع الاتجار بالخمور أو المخدرات داخل الهند كلها .

● ٣ – تعميم مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة .

● ٤ – الاتحاد بين المسلمين والهندوس .

● ٥ – تعميم المغزل فى القرى جميعها .

● له رأى فى الفنون يتضح من قوله « يكفينى من غرفتى أربعة جدران ولا أكاد أحتاج إلى سقف يعلوها حتى يمكننى أن أنظر إلى قبة السماء وأرى النجوم منتشرة فيها فأمتع عينى بجمالها الذى لا يفنى فهذا عندى يعلو على جميع الفنون الإنسانية التى لا أتجاهلها ولكن عند المقارنة أشعر شعوراً عميقاً أن الجمال الطبيعى أعظم من الجمال المصنوع فجميع الأعمال الفنية فى العالم كلها تافهة كل التفاهة إذا ما قيست بأعمال الله الفنية التى تغمر الكون كله .

● علاقة غاندى بالطعام علاقة سهلة بسيطة لأن يحب حياة

النساك ولذلك فطعامه بسيط جدا فهو يأكل فقط ليعيش والناسك يتسامى عن الشهوات بالصوم وقلة الغذاء ولعلنا إذا نظرنا إلى طعامه لاحظنا أنه يكاد يقتصر على لبن عنزته وعلى بعض الفواكة الجافة كالبلح أو يأكل البندق وبعض الأرز والخضروات حتى يستطيع أعمال ذهنه جيدا فيما يريد .

- كان يصوم بضعة أيام لا يدخل جوفه أثناءها سوى الماء لكى يقمع شهوته الجنسية .
- هل تعلم :
- أن غاندى لم يشرب الخمر أو القهوة أو الشاى طوال حياته .
- وأن فراشه بطانيه من الصوف .
- وأن وسادته كتابان أو ثلاثة .
- وفى الصيف يقيم فى العراء ويفترش التراب .
- وأنه يعيش فى غرفة متواضعة ليس فيها سوى رف للكتب

- وأنه تنازل عن كل ثروته هو وزوجته للفقراء .
- وأنه رغم شهرته العريضة فلا يتشدق بالألفاظ بل أنه ليس خطيباً على الأطلاق .
- وأن غاندى قد صنع من مادة الأبطال .
- وأنه مناضل مطبوع .
- وأنه داعية سلام بطبعه .
- وأنه نجح فى إلغاء البغاء فى الهند كلها .
- وأنه نجح فى محاربة أكبر دوله استعمارية فى العالم دون . استخدام العنف وتحققت فيها آماله فى الاستقلال! .
- وأن غاندى صاحب الفضل فى تمسكه بمبدأ الساتيا جراها (التمسك بقوة الصدق) .
- أعظم ما في كفاح هذا الرجل الذى هز العالم كله بأسلوبه الساحر وأفكاره التى تبدو سهلة بسيطة أنه استطاع أن يؤكد أنه باستخدامه سلاح الروحانيات استطاع أن يتغلب بعد صبر طويل استمر نصف قرن من الكفاح الهادىء الصامت على القوة القاهرة الغاشمة .

الفهرس